إلى القارئ

هذا العدد اردناه خاصا بعلاج قضية القصة التونسية، والقصة على وجه العموم.

ذلك ان الادباء واهل القلم بهذه الديار اذ هم يشكون فقر الادب التونسي المعاصر بل يلاحظون انه لم يواكب في غزارته وفي اصالته النهضة القومية في دنيا السياسة والاجتماع وحتى الاقتصاد، فانهم يؤكدون بالخصوص ضعف الانتاج القصصي كما وكيفا.

فاذا وجد الشعراء من فخامة السيد رئيس الجمهورية كل التشجيع والاعتبار وتفتقت قرائحهم ازاء احداثنا القومية السارة والمحزنة وبطولاتنا وانتصاراتنا وجلائل اعمالنا، فظهرت العكاظية الاولى واوشكت الثانية ان تبرز وطبعت شتى الدواوين واتصلت صحفنا ومجلاتنا بعدد كبير من القصائد فانا لا نكاد نظفر بانتاج مماثل في فن القصة طيلة هذه السنوات الثلاث التي عشناها في ظل الاستقلال والسيادة.

على ان الباحث يجد في مجموعة مجلة « الفكر » وغيرها من المنشورات بعض المحاولات ولكنه يلاحظ ان اصحابها لا يزالون يتأرجحون بين المذاهب الادبية فكان انتاجهم ثمرة لم تينع ومادة لم تبلغ صورتها المثلى.

لذا اردنا ان نخصص عددا لعلاج هذه المشكلة فسالنا ادباءنا ورجال الفكر عندنا رايهم في هذه المشكلة ثم نشرنا بعض اقاصيص لادباء ناشئين وبعض مترجمات لادباء من الشرق والغرب عسى ان يكون ادراكنا للقضية واضحا وشعورنا بوجوب النهوض بالقصة التونسية كاملا.

ولا بد ان نشكر الاساتذة الذين لبوا دعوتنا وساهموا في هذا العدد وان نعذر الذين تخلفوا - وهم من سوء الحظ كثيرون - وان نشجع الادباء الناشئين على الكتابة في القصة وهي من اصعب فنون الادب والاقبال على مطالعة مؤلفات كبار الروائيين العالميين حتى نوجد التوازن بين الشعر والقصة ونؤدي الرسالة الادبية في بلادنا على اتم وجه

الفكر

رأي المستشرق "ج. بارك" في القصة

السؤال الاول

الجواب ان يكتبوا •

فهناك تأخر نسبي في الانتاج الادبي العربي بالشرق الاوسط اذ ان حركة القصة لم تثبت بعد اسسها

فنحن نجد مؤلفي الاقصوصة ولا نجد مؤلفي القصة • فقد مر على قصة (الرغيف) خمس عشر سنة • ومر على قصة (الارض) للشرقاوي خمس سنوات •

ونظرا للتأخر القصة العربية فان القصة في اللغة الفرنسية بشمال افريقيا قد سبقت القصة العربية بها •

السؤال الثاني

الجواب : أعرف (السد) تلك الرواية الفلسفية الرمزية التي تجاوزت باشواط كل الانتاج العربي • ان المغرب العربي هو ضحية لثقافته المزدوجة ولكنه اكتسب في الوقت نفسه مكانة ممتازة بالنسبة الى الشرق

وان (السد) لدليل على هضم هذه الثقافة المزدوجة ، ولغته جميلة

اما ما يقال عن هذه الرواية في الشرق : يقولون ان اللغة رائعة ولكن الفكرة غامضة مبهمة فماذا عساهم يقولون عن (مالارمي) *Mallarmé* ؟

ولست أعلم ـ مع الاسف الشديد ـ قصاصا تونسيا كبيرا فيما عدا المسعدي •

اما معنى كلمة : قصة ، فاني سمعت من يعبر عن (*Roman*) بـرواية

وقد يقولون ايضا : قصة •

وفي لبنان يقولون (الادب القصصي) للتعبير عن القصة بصفة عامة : (*Le Roman*

السؤال الثالث

الجواب : ليس لي ان أناصر سوى الفصحى ، فلست من انصار خلط الفصحى بالعامية كما هو الشان في القصة الواقعية المصرية لان الواقعية الادبية لها حدود ، ونحن بفرنسا نعتبر قصص (فلوبير) *Flaubert* انموذجا للقصة الواقعية ، مع ان فلوبير من احرص الناس على الاسلوب ، وقد حاول (زولا) *Zola* في قصة او اثنتين (الـدبوس *L'Assommoir*) ان يصور لغة الشعب تصوير العدسة ، فـآل به ذلك الى الرجوع الى الاسلوب الكلاسيكي القديم .

ولهذا يجب الاحتفاظ بالقديم ما لم تطرأ ثورة في المجتمع تغيير العلاقات الموجودة بين الطبقات

السؤال الرابع

الجواب : انها الوسائل الكفيلة بتجديد الفكر العربي وبعثه في كل الميادين على عكس ما يفعل في العادة من ترجمة تمد العربية بثوب تخميني غريب عنها من المفاهيم الغربية البعيدة عن الدقة والضبط وذلك بالاكثار من المصطلحات الحديثة .

واني انصح بان يكون التكوين عصريا صميما جريئا في لغة الحضارة العصرية حيث يظهر هذا الطابع العصري في ابسط مظاهره واوضحها .

اما فيما يخص الرجوع الى عصور الازدهار الكلاسيكية ، فاني اعارض عددا من المربين العرب المعاصرين الذين يرون غنما كبيرا في تعليم الجغرافيا في معهد ثانوي باللغة العربية ، فالنجاح الحقيقي العظيم انما هو في تكوين عالم جغرافي عربي كبير في اللغة التي تفوق سواها من حيث التقدم .

اما لغة الثقافة فان لي فيها كلاما طويلا .

الخاتمة : اني ارجو ان تقع قريبا دراسة هذا المجهود الذي تذكرون في المجلات العلمية الفرنسية . فاكتبوا لنا فصلا عن القصة والاقصوصة التونسية في مجلة *ARABICA* فانكم ستؤدون لنا بذلك خدمة جليلة .

على اني اتأهب بعد لتطبيق طرق بحثنا في هذا الميدان في اول فرصة ، فاني اعتقد ـ في المرحلة الحاضرة من بحوثنا الاجتماعية ـ ان الادب القصصي من اهم المصادر للتنقيب عن المجتمع العربي الحديث .*

* ـ القى الاسئلة على الاستاذ « ج . بارك » صديقنا الدكتور محمد فريد غازي

أضغاث أحلام

بقلم محمد العربي عبد الرازق

استلقى صفوان . . . ودب الكرى في جفنه دبيب النمل .

. . . تتفتح عينا صفوان على الكون فيعشيهما نور وهاج تالفانه دربة . ثم يأخذ يحدق ويحدق . . .

الناس حوله راقصون قافزون كأن قد تعتعهم الثمل . يملاون الكون بجلبة اصواتهم ووقع اقدامهم . وما هي الا لحظة حتى يداهمهم سيل عرم يجرفهم جرفا الى حيث لا يفقه ولا هم يفقهون . . .

يعود احدهم فيشق الارض شقا ويشر الحب في احشائها نثرا ثم يصيح :

« اني انا انشىء الحياة ! »

فيمضي صوته في ارجاء الفضاء ثم يعود اليه صدى زلزالا :

« بطل زعمك وكذبتك الظنون ! ما انت بمنشىء ولا خلاق ! » فيغور الرجل في احشاء الارض . . .

ويخلفه امرؤ وامراة . . . يضطجعان . فيسفد اخته سفادا ، وينثر بذوره بين الصلب والترائب منها . ثم ينتصب كالديك يصيح :

« اني انا اذرأ الحياة وابري ! »

فيطوي صوته البيد ثم يعود اليه شهابا صاعقا :

« بطل زعمك وكذبتك الظنون ! ما انت بباريء ولا خلاق ! »

فيرتفع الرجل في الجو ثم يهوي الى الارض فيغور فيها . . .

تنهض المرأة وتسير نحو الافق البعيد تهمهم في حزن :

« هو ذا انت . . . ما رايتك قط تتعالى حتى تزل بك القدم فتهوي ! فما زلت تعلو لتهوي . وتهوي لتتعالى . ذاك دابك وما رايت لهذا الداب تبديلا »

ويناديها من جوف الفضاء مناد ، يقصف صوته رعدا :

« ذاك هو الانسان ! ذاك هو الانسان ! هو العجز وهو القدرة ! هو نور الفجر الساحر وهو ظلمة الليل البهيم ! »

فلكم طالما عظم فنسي ذله . ولكم طالما قدر فنسي عجزه ، وصح فنسي عيه ، وعقل فنسي خباله وجنونه وغيه !

يذهب يجوب دنياه يكشف لها عن خبايا لبه . يصوغ النفس اناشيد يحسب انه جسم فيها كل شعوره . ويسوقها اغاريد يظن انه المر فيها بخلجات كآبته وسروره ... وما هو بملم بجوانب نفسه ، ولا بمستوف جميع نبرات حسه ... فرب معبر عن نفسه خان نفسه ، ورب صامت اشعر من صداح ..

وغابت المراة في الافق البعيد يلاحقها الهاتف . وعاد السكون من جديد فانتصب صفوان يناجي نفسه ويقول :

« واجذوة تلتهب في احشائي! وا نورا به احس ولا افقه ! لتبق الغموض والابهام ! لتبق في القوة الجارفة والنار الحية اللافحة ! فهيهات لي ان اصوغك هيهات ...

لتبق لي وحدي ، فاني اشهد بجمالك وبجلالك فلست مظهرك الا استحلت وما اريد بك ضيما ولا تبديلا

لانت الجمال الذي هو الجمال ! لانت السحر وانت الشعر ! ...»

وقصف صوت المنادي في الفضاء يزلزل الكون : « انه الانسان ... »

وابتسم صفوان ابتسامة الواثق الهادئ الجليل .

وارتجف صوت الهاتف وتحطم على قدميه . وشع في الافق نور فجر ثاقب .

قصة من المغرب العربي

صحراء أبداً

قصة بقلم الطاهر وطار

أليس من حقه ان يظفر بقلب رقيق .. مخلص ، يحنو عليه .. ويحدب على هنائه .. ويفعم حياته بالامل ، والانتعاش ؟..

أم أنه كتب عليه ان يظل فى صحرائه الى الابد .. يتيه فى مهامه قفرها .. وقسوة رمالها الصفراء اللافحة ؟..

ان الدمعات التى انسابت جارية سخنة .. من عينيه اللتين اشتاقتا النوم .. تقول .. ستعرف ماذا تقول أيها القارىء حين تنتهى من قراءة « صحراء أبدا »

صحراء أبدا ...

يمكـــن ان يكون الوقت الثانية أو الثانية والنصف بعد منتصف الليل عند ما أمسك مصطفى يده اليسرى باليمنى وقربهـا من عينيـه يبحث عن موضـع الساعة التى أقسم المرار العديدة عـلى أن يبيعها ، ويضيف الى ثمنهـا ما يفى لشراء أخرى ذات أرقام وعقارب نيرة

لا شك ان معرفة الوقت لم تكن تهم كثيرا اذ اعتاد ان لا يستيقظ قبل الساعة الثانية بعد الزوال منذ ان صار يشتغل بالليل .. وان كان سيناله التعب .. وتصبح شفتاه جافتين ووجهه أصفر شاحبا .. لانـه عمد أمس الى ان ينهـض مبكرا ليقضى يوم الاحد كما يقضيه الناس

والذى جعله ينظر الى ساعتـه وهو يعـلم سلفا أنه لن يهتـدى الى أرقامهـا وعقاربها .. ويعرف ان مشكلة ابدالها ستتكرم عليه على الاقل بساعة أخرى سهرا .. هو هـذه الرعشة التى سرت فى جسده .. حين خطر ببـاله هـذا السؤال على حين غفلة .. متى ستخرج من الصحراء يا مصطفى ؟..

وأعاد يديه الى موضعهما بدون ان يعرف الوقت .. وبقى السؤال الجهنمى يتكرر .. مرة وثانية .. وثالثة وعاشرة و.. و.. الى ان صار يراه بعينيه .. وحيثما حولهما .. وسواء أأغمضهما أم فتحهما .. فهو يرى كل حرف وحده ..

يرى الميم والتاء ٠٠ وجملة الحروف وكأنها لهيب ٠٠ وأسطع نورا بآلاف المرات من أرقام وعقربي الساعة التي ينوي ان يشتريها منذ سنة ٠٠

متى ستخرج من الصحراء يـا مصطفى ؟٠٠ متى ستخرج من **الصحراء يـا مصطفى** ؟٠٠ ستخرج ٠٠ الصحراء ٠٠ يا ٠٠ مصطفى ٠٠ متى ؟ متى ؟ متى ؟ ؟. . **أبداً لا** شيء يبدو في الافق ينبيء بقرب ساعة الفرج والخلاص ٠٠ لا شيء ٠٠ لا شيء عـلى الاطـلاق !!٠

ثـم أرسل زفـرة ٠٠ وتملمـل في فراشه ٠٠وتململ وأغمض عينيه ٠٠ وفتحهما ٠٠ ولكن عبثا يحاول اقصاء السؤال اللعـين ٠٠ عن ذهنه ، ويطمس حروفه النارية من بين عينيه ٠٠ أو ان يشعر ولو بمثقال ذرة من النوم يـراود أجفـــانـه ٠٠

وفجأة ألقى بالغطاء بعيدا عنه ٠٠ ولم يصغ الى السرير تحته وهو يتشفـع بصيحاته ٠٠ بل لم يحاول حتى ان يصغي لنفسه وهو يصرخ :

ـ الصحراء ٠٠ الحقيقية ـ لا مفر من كلتيهما ٠٠

وأرسل قهقهة جنونية حين سمع الجدران ترد عليه ٠٠ لا مفر من كلتيهما ٠٠ وراح يواصل الضحك كلما تجاوبت أصداء قهقهته في الجدران حتى أحس بألم في بطنه ٠٠ وصداع في رأسه ٠٠ فوثب من سريره غير مبال بأناته ٠٠ وكأنه هرة أوصدت عنها الابواب في ليلة شتاء ٠٠ وأشعل الضوء ٠٠ وبعد عناء فتح عينيه وأجالهما في البيت ٠٠ لم يكن يبحث عن شيء ٠٠ سوى عن ذلك اللهيب من الاحرف ٠٠ لكنه لم يجده ولم يجد أثرا للسؤال حتى في مخيلته ٠٠

وتمتم حين نظر الى ساعته :

ـ طبيعي أن لا أنام قبل الساعة الرابعة ٠٠ فقد تعودت ذلك منذ سنة ونصف

ثم تناول كتابا من فوق المنضدة التي تتناثر عليها بعض الكتب ٠٠ وأوراق ٠٠ وأعقاب سجائر ٠٠ فاضت بها « التقتوقة »

كان الكتاب « انزع القـلق وابدأ الحياة » من الكتب الضرورية التي لا يمكن بحال ان تختفي من فوق « الطاولة » حتى ولو كانت اللعينة سعاد تجلس أمامه ٠٠ وكأسا الويسكي تتزاحمان فلا تجدان لهما مكانا بين الكتب والاوراق٠٠ فهو لم يكتف بقراءتها مرة ومرتين وثلاثـا ٠٠ ومراجعة بعض فصولها كلمـا دعت الضرورة لذلك ٠٠ بل لا بد من تهدئة النفس بالعناوين ٠٠ « انزع القلق وابدأ الحياة » ، « عش سعيدا » ، « أعرف نفسك » الى آخره ٠٠ كما كان لا بـد من تهدئة النفس حين صار يشتغل بالليـل ٠٠ فكتب على « السبورة » بحـروف غليظة ٠٠ « لولا معجزات الليالي ٠٠ لما ترك القطا طيب المنام » ٠٠

ورفع مصطفى بصره عن الكتاب عند ما انتهى الى هذه الكلمات : اذا أردت أن يداهمك النوم ففكر فى اسعاد أحد ٠٠ وأجاله فى البيت ٠٠ لم يكن هناك غير خزانة قديمة مرصفة بالكتب ذكرته فى جدته التى كان يسرق لها عصاها لكى لا ترافقه الى « الكتاب » ٠٠

وبجانب الخزانة سرير لا يختلف تماما كلما اقترب منه عن (المدب) ٠٠ وهنا وهنالك على الجدران بعض الثياب معلقة فى مسامير أتى عليها الصدأ ٠٠ يكاد كل ثوب منها ينطق بتاريخ حياته فى تونس ، وفى ذلك البيت بالذات الذى اشتراه له والده ٠٠ منذ ان نزح الى العاصمة ليزاول تعلمه ٠٠ ولم يغادرها بالمرة اذ ذهبت عائلته ضحية غارة جوية شنها الالمان على الحلفاء وصادر الدائنون أملاك والده ٠٠ فلم تبق فى بلدته أى جاذبية تعيده اليها ٠٠ ان كل قطعة من تلك الثياب تكاد تكون هى بالذات احدى السنوات العشر التى مرت ٠٠ وعين المناسبة التى اشتراها فيها ٠٠ مناسبة عمل بشركة كذا ٠٠ أو بجريدة كذا ٠٠ أو مناسبة عيد من الاعياد ٠٠ ولا غير ٠٠

ومر شريط حياته فى السنوات العشر بسرعة ٠٠ سرعة فائقة ٠٠ فليس فى حياته شيء يذكر ٠٠ ولما انتهى بصره الى الصفحة التى كان يقرأ فيها والى الجملة التى توقف عندها بالذات « اذا أردت ان يداهمك النوم ففكر فى اسعاد أحد » ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه وتساءل :

ــ لماذا يا ترى يداهمنا النوم حين نفكر فى اسعاد غيرنا ؟

ثم استطرد :

ــ حسنا سأجعل بيتى سعيدا ، سأضيف الى ميزانية هذا الشهر خمسمائة فرنك ٠٠ سيكون لون « الدهن » أصفر بلا شك ٠٠ اننى أفضل اللون الاصفر على غيره من الالوان ٠٠ وأبى أيضا كان يحب اللون الاصفر ٠٠ ولو كانت أمى تفضل اللون الاخضر ٠٠

ثم طوى الكتاب وتناهض لاطفاء الضوء وبين شفتيه

ــ حسنا سأوفر السعادة الى بيتى ٠٠

وما كاد يستلقى على فراشه ويهدأ سريره من المواء حتى أخذت النار تشب فى البيت ٠٠ وتراءى له اللهيب الذى يكاد ينصب عليه ٠٠ وعادت الحروف الجهنمية تتراقص حوله ٠٠ الصحراء ٠٠ متى ٠٠ الصحراء متى ستخرج منها يا مصطفى ؟

متى ستخرج من الصحراء يا مصطفى ؟٠٠ متى ؟٠٠ متى ؟٠٠ وتقلب في الفراش ٠٠ وتقلب ٠٠ وصرخ السرير ٠٠ وصرخ ٠٠ وطار النوم ٠٠ طار الى مسافة يجزم مصطفى أنها تبعد بعشر سنوات أخرى ٠٠

« آه ٠٠ لو كانت اللعينة سعاد معى لفتحت المذياع ، ونزعنا ثيابنا ٠٠ كلها ٠٠ ورقصنا رقصة جنونية ٠٠ لكن الى متى ؟ وسعاد هى لعبتى المسلية »

أوف ٠٠ ما أشقى الانسان ان تنبه الى أنه يقضى حياته فى التربص ٠٠ فى التربص لماذا ؟٠٠ الدفء ٠٠ الحنان ٠٠ الزهور ٠٠ الماء المنساب بين الاعشاب ٠٠ الاشجار المخضرة ٠٠ سئمت حياة الصحراء ٠٠ الصحراء يا رب ٠٠ الشمس ملهبة لا دفء فيها ٠٠ الرمال الممتدة على طول البصر ٠٠ الصخور ٠٠ القحط ٠٠ القحل ٠٠ وهذا السكون البليد الذى لا ينتهى ٠٠ انى أريد الحياة ٠٠ الحياة ٠٠ حياة أى انسان ٠٠ أى انسان يشعر أنه انسان ويمارس انسانيته بعيدا عن الصحراء والقحل والسكون البليد ٠٠

وشعر مصطفى وهذه الافكار تخطر بباله ٠٠ بخطورة الموقف ٠٠ ورثى نفسه من هاته الحال التى آل اليها ٠٠ فهذه الكلمات ٠٠ وهذه الافكار غريبة عنه ٠٠ وخطيرة عليه ٠٠ وأبدا لا يسمح لنفسه بالاستمرار فيها ٠٠ وتأكد ان يثب من فراشه ويسرع الى اشعال الضوء ٠٠ وأشعله ٠٠ وبعد لاى فتح عينيه ومد يده الى الكتاب قائلا :

ــ انزع القلق وابدأ الحياة ؟٠ أنا ٠٠ أبدا ٠٠ أريد فقط أن أنزع القلق ٠٠ وأبدأ النوم أما الحياة ٠٠ الحياة مسألة أخرى !٠٠

وليس بد من الامتثال لاوامر الكتاب فى مثل هذه الحالات ٠٠ فحمل مصطفى القلم وبدأ يكتب :

ــ ماذا أريد بالضبط ؟؟ بالضبط !!٠٠

ــ لقد سئمت حياتى التى ليس فيها الا العمل حتى الساعة الثالثة صباحا ، والنوم كامل النهار ٠٠ وسعاد والويسكى ليلة كل اثنين ٠٠ سعاد تلك اللعينة التى تكلف ميزانيتى مصاريف باهضة ٠٠ نعم لعينة ٠٠ ولعينة الف مرة ٠٠ انك لعينة يا سعاد ٠٠ وملعونون كل من تخربين ميزانيتهم مثلى ٠٠ وملعون حتى الويسكى معك ٠٠ لكن الويسكى ٠٠ الويسكى مسألة أخرى ٠٠

بالضبط أريد قلبا ٠٠ قلبا لا ينازعنى فيه أحد مثل بيتى هذا ٠٠ قلبا لى ٠٠ أجل لى ٠٠

ألا أستحق قلبا ؟٠٠ بالعكس ٠٠ تماما ٠٠ انى أريد قلبا يغمرني بالدفء ٠٠ وحياتي يملؤها بالامل ٠٠ ويفعمها بالانتعاش ٠٠ فقد مرت عشر سنوات بأكملها ٠٠ لم أشعر فيها لحظة ٠٠ بالاخلاص ٠٠ والحنان ٠٠ والدفء ٠٠ الدفء المنبعث من الحبيب ٠٠ لانى لم أحاول أن أحطم أى قيد من قيود تونس ٠٠ فأكون سببا فى تعكير صفو والد ٠٠ أو حمله على السهر ليفكر في ابنته ٠٠ وفي اللص الذى يوشك ان يختلس قلبها ٠٠ أبدا لم أرض لنفسى أن أكون مختلسا أو مجرما ٠٠ ولم توجه لى هذه التهمة ٠٠ حتى بعد ان طرقت البيوت من أبوابها ٠٠ كما يقولون ٠٠ « وخطبت » ٠٠ ولم تفتح لى ٠٠ لم أحاول أن أدخلها من نوافذها أو سقفها ٠٠

لقد كان رائدى كامل العشر سنوات التى مرت أن لا أتصادم مع المجتمع ٠٠ واكتفيت ٠٠ آه اكتفيت باللعينة سعاد ٠٠ تشرب معى كل ليلة اثنين « ويسكى » ثم تنزع ثيابها فى تثاقل وترنح ٠٠ قطعة قطعة ٠٠ وتنحنى عارية تماما لتساعدنى على نزع ثيابى أنا الآخر ٠٠ وتتكلف عثرة لتهوى فى أحضانى ٠٠ وأغمض عينى بينما شفاهنا تلتقى ٠٠ يا لها من سمراء ٠٠ قصيرة ٠٠ لعينة ٠٠ لقد كانت تحسن معاملتى ٠٠ حتى أنى وأنا أطفىء الضوء ٠٠ وأتلمس الحائط لاصل الى السرير ٠٠ أنسى ما سأدفعه لها غدا ٠٠ وأنها ستعيد نفس هذا الدور الذى أتقنته مع غيرى كامل الاسبوع ٠٠

أليس من حقى أن أتوق الى قلب مخلص ؟٠٠ بل الواجب يفرض ذلك ٠٠ وسأضرب غدا بكل القيم والتقاليد ٠٠ وبالمجتمع عرض الحائط ٠٠ كفانى ٠٠ ما عانيته فى الصحراء ٠٠ سأ ٠٠٠

وفجأة توقف مصطفى عن الكتابة ٠٠ وبقى ساكنا كأنما يتتبع حركة أصابع يده اليسرى ٠٠ وهى تعبث فى شعر رأسه الذى اشتعل شيبا ٠٠ ثم نقل القلم الى أسفل الورقة وهو ساهم ٠٠ « سأبقى فى الصحراء الى الابد » ولم يكد يرفع القلم قليلا عن الورقة ٠٠ حتى كانت دمعتان قد انسكبتا من عينيه ٠٠ وسقطتا على الجملة وامتزجتا بالحبر ٠٠

وبدون شعور نهض مصطفى وفتح الباب حتى تتمكن سعاد حين تأتى فى الساعة الثامنة من الدخول بسهولة ٠٠ وحتى لا يتنبه لها الجيران ٠٠ وكانت الساعة السادسة حين استلقى فى مضجعه ٠٠ وقد أخذ الضوء يتسرب من النافذة ٠٠ فبدد الظلام الذى كانت تبدو فيه الحروف الجهنمية كاللهيب ٠٠ ولم يطل الوقت حتى داهمه نوم عميق ٠

الطاهر وطار

القاطرة ٣٨

للقصصي الامريكي وليام سرويان

ترجمها محسن بن حميدة

William Saroyan قصصي أمريكي مشهور أصله أرميني وهو فخور به ، ولقد بدأ سرويان كتابة القصة « بل الاقصوصة » وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، واشتهر شهرة واسعة منذ ذلك الحين ، فأخذت الصحف والمجلات الامريكية المشهورة تتسابق لنشر أقاصيصه · ولسرويان مذهب خاص في معنى القصة وكتابتها ، فيقول : « لا حاجة لي بمادة غزيرة لكتابة قصة ·· المرح حينا وحينا لا مرح ·· هذه قصة ـ ساعة من دون عمل ·· هذه قصة ـ مقهى وما به من دوى ·· قصة أيضا ـ أريد أن أحطم تسلسل الكلام الاحمق وبعث الحياة فيه ·· فأنا لا أخلق النماذج البشرية ولا أستعمل أسلوبا ماهرا ولا أبني جوا عجيبا ولا أحاول قط ان أقف في صف القصصيين العظام مثل Sinclair Lewis أو Joseph Hergesheimer, أو Zane Grey الذين يعرفون قواعد القصة من عقدة وأشخاص وأسلوب وجو وغير ذلك ، ويحسنون صنع قصة خيالية ، كما اني لا أترشح للجوائز الكبرى كجائزة Politzer أو جائزة Nobel أو غيرها انما أكتب حديثا للناس البسطاء لاحدثهم عن أشياء يعلمونها »

فسرويان اذن هو القصصي المرح الخفيف الصادق الساذج · وله كتب قصص كثيرة منها « اسمي أرام »(My name is Aram) و « سبعون الف أشوري » (70.000 Assyriens) و « الشاب الجريء فوق المزوفة »(The Daring young men on the flying trapeze) « وسبيل الشعور »(The way to be alive) وهذه الاقصوصة منقولة عن كتاب « أسمي أرام »

في يوم من الايام أتى المدينة رجل راكبا حمارا فدخل المكتبة التي كنت أقضي بها أكثر أوقاتي · ذلك الرجل هندي أحمر طويل القامة من قبيلة أوجيبواي (ojibway) اسمه القاطرة ٣٨ على حد قوله · كان جميع الناس بالمدينة يظنونه هاربا من مأوى مجانين · فما كاد يمضي ستة أيام حتى صرعت الحمار ناقلة كهربائية ومات من الغد بين مفترق شارع ماربوزة (Mariposa) وشارع

فولتون (Fulton) ساقطاً على رجل الهندى الذى عرج الى صيدلى وطلب بالهاتف أخاه بأوكلاهوما (Oklahoma) وكانت المخاطبة الهاتفية مرتفعة الثمن جداً لكنه غمس بالنقود فى شقة الجهاز الآلى كما لو كان متعوداً المهاتفة عن هذا البعد كل يـــــوم

وكنت فى ذلك الحين عند الصيدلى آكل موزة ملكية ممتازة اذ خرج من غرفة الهاتف فقال لى السلام عليك يا ويلى (Willie) وهو يعلم انه يدعونى بغير اسمى لكنه كان يتلهى بدعوتى هكذا وجر خطاه الى واجهة اللواك chewinggum ورجع منها بثلاث علب من النوع الثمرى ، وقال ما تأكل يا ويلى ، فقلت يقال له موزة ملكية ممتازة فجلس على الكرسى المرتفع المجاور لى وقال ناولينى مثل هذا يا آنسة ، فقلت له انها لمصيبة مريعة حادثة حمارك ، فقال ليس للحيوانات مكان فى هذا العالم ٠٠ لكن ما نوع السيارة التى يجب على ان أبتاعها ، قلت أأنت مشتر سيارة ، قال أفكر فى ذلك منذ عدة دقائق ، فقلت كنت أظن أنك لا تملك مالا ٠٠٠ كنت أظنك فقيراً ، قال كذلك مظهرى ويظنوننى مجنوناً أيضاً ، قلت ما كنت أظنك مجنوناً لكن ما كنت أظنك غنياً أيضاً ، فقال أعلم أنى غنى ، قلت أريد أن أكون غنياً ، قال لماذا ، قلت منذ ثلاث سنوات متواليات بى رغبة ملحة فى الذهاب الى مندوت (Mendotte) للصيد ولا بد لى من جهاز صيد ومن سيارة تمكننى من الالتحاق بذلك المكان ، قال وهل تحسن سياقة السيارات ، فقلت أقدر على سوق كل شىء مهما كان ، قال هل سقت سيارة من قبل ، قلت لم أسق بعد فلم أحصل الى الآن على سيارة ثم ان دين أسرتى يحرم على ان أسوق سيارة ، قال تريد ان تقول انك قادر على سوق سيارة بمجرد ركوبها ، قلت ذلك بالضبط ، قال أتذكر ما كنت قلته لك تلك الليلة ونحن على درج المكتبة ، قلت فى عصر الآلة ، قال أجل ، قلت أتذكر قال حسنا ٠٠٠ ان الهنود الحمر قد ولدت معهم غريزة الفرس والسباحة والتجديف وصيد البحر والبر لكن الامريكيين تولد معهم غريزة الآلة ، قلت لست أمريكيا ، قال أعلم أنك أرمينى لم أنس ذلك فلقد سألتك عن ذلك وأجبتنى أنك أرمينى ولدت بأمريكا ٠٠٠ وأنت فى سن الرابعة عشرة ، تعلم أنه يكفيك دخول سيارة لتحسن سوقها فأنت اذن على ذلك كله أمريكى ولو كان لبشرتك لون بشرتى القانى ، قلت لا تتطلب السياقة أية شتارة أو حيلة فهى أيسر من ركوب الحمار ، قال حسنا ٠٠٠ فأنا أقبل عرضك فان قطعت الشارع واشتريت سيارة هل ستكون سائقها ، قلت طبعا ، قال وما تطلب من أجرة ، قلت تريد

ان تقول أنك ستهبني أجرة لسوق سيارة ، قال بطبيعة الامر ، قلت هـذا من لطفك وطيبة نفسك ، لكني لا أريد نقودا مقابل سوق سيارة قال ستكـون سفرات طويلة ، قلت هذا وفق مرادى ، قال اذن أنت لا تخشى التعب ، قلت ولدت هنا بهذه القرية الصغيرة العتيقة ، قال وأنت لا تحبها ، قلت أحب الجبال والانهار وبحيرات الجبال ، قال أتعرف الجبال ، قلت لا ٠٠٠ لم أعرفها بعد لكنى آمل يوما ان ٠٠ قال آه فهمت ٠٠ سيارة ٠٠ من أى نوع ٠٠ أشر على ، قلت ما قولك فى سيارة مكشوفة من نوع فورد (Ford) قال أهو أحسن نوع السيارات قلت تريد اذن أحسن الانـواع ، قال ذلـك أفضل ، قلت لا أعلم لكـن أحسن السيارات ستكلفك ثـروة قال ما هى أحسنها ، قلت ان كان الامر هكذا ففيـه أقوال اذ هناك من يفضل الكاديـلاك (Cadillac) وهناك من يفضل الباكـار (Packard) والاثنتان جيدتان ولا أقدر أن أقول لك ما هى أحسنهما والباكـار عجيبة المنظر عند سيرها والكاديلاك كذلك ٠٠٠ ولقـد رأيت فى الطريق عـدة سيارات جميلة ، قال ما هو ثمن الباكار ، قلت نحو الثـلاثة آلاف دولار ٠٠٠ ولربما كان ثمنها أرفع ، قال أيمكن شراء واحدة من هذا النوع فى الحين

فنزلت عن كرسيى ٠٠٠ وكأنما بدا عليه مظهر الجنون لكنى كنت أعلم أنـه ليس بمجنون ، فقلت اسمع يا سيدى قاطرة أأنت تريد حقا شراء باكار فى الحين قال تعلم حق العلم ان حمارى قد مات منذ دقائق ، قلت رأيت ذلك وان الشرطة ستأتى لا محالة لايقافك من وقت لآخر لانـك تركته بالشارع ، قـال انهم لن يوقفونى ، قلت سيوقفونك لان هناك قانونا يمنع ترك الاحمرة الميتة بالشوارع قال لن يوقفونى ، قلت ولم ذلك ، قال سأريهم بعض الاوراق التى أحملها معى دائما فالناس هنا يحترمون المال احتراما شديدا وأنا أملك من المال نصيبا وافرا فقلت فى نفسى انـه مجنون حقا وقلت له أين وجدت كل هذا المـال ، قال أنا صاحب أملاك بالاوكلاهوما ٠٠٠ أملك عشرين الف هكتار تقريبا ، قلت وهـل تساوى هذه الهكتارات مالا كثيرا ، قال لا انها لا تساوى شيئا غـير عشرة منها فيها بعض آبـار نفط أملكها أنـا وأخى ، قلت فكيف نزلتم أنتم الاوجيبواى الى أوكلاهوما ٠٠٠ كنت أظن ان الاوجيبواى يعيشون بالشمال الاعـلى بمقاطعة البحيرات ، قال هذا صحيح ٠٠٠ كنا بتلـك المقاطعة لكن جدى من الفـاتحين الاولين وقد تبع سير جميع الفاتحين نحو الغرب ، فقلت أظنهم لن يضايقوك من أجل حمارك ، قال انهم لن يضايقونى أبدا لاجل ذلك فهم يظنوننى مجنونا ولا يعلم أحد غيرك فى هذه المدينة أنى أملك مالا ٠٠٠ أتعرف مكانا يمكننا ان نشترى

منه في الحين سيارة ، قلت ان وكالة باكار بعد المكتبة بقليل ، قال حسنا ... ان كنت على يقين من انه لا بأس عليك في ان تسوق السيارة فهيا بنا لاقتنائها ... اني أريدها في لون براق ... أحمر قان ان أمكن ... وأين تريد ان نذهب في أول الامر ، قلت أتكره ان تذهب الى ماندوت للصيد ، قال لنذهب فسأشاهدك متعاطيا الصيد ... وأين يمكن شراء جهاز صيد ، قلت وراء زاوية الشارع عند هومان (Homan)

وعمدنا الى الدكان فاشترى لى الهندى جهاز صيد بسبعة وعشرين دولارا ولم نجد عند باكار سيارة حمراء غير أننا وجدنا سيارة جميلة خضراء زاهرة لونها لون الاعشاب ... كان ذلك سنة ١٩٢٢ وكانت السيارة من نوع سيارات السياحة المكشوفة الجميلة جدا فسألني الهندى قائلا أتظن أنك قادر على سوق هذه السيارة الضخمة ، قلت أعلم اني سأقدر على ذلك

والتحقت بنا الشرطة هنالك وكانوا يريدون ايقاف الهندى الذى ترك حماره الميت عرض الشارع فأخرج لهم الاوراق التي حدثني عنها فانسحبوا معتذرين قائلين انهم سيزيلون جثة الحمار عن مكانها وانهم لمتأسفون على شغله عن أموره فقال لهم لا انشغال ثم التفت الى جيم ليويس (Jim Lewis) مدير وكالة باكار ذلك المترشح الدائم للانتخابات المشيخية قائلا عزمت على شراء هذه السيارة فقال انى محضر لك الاوراق وليس عليك بعد ذلك الا التوقيع ، فقال عن أية أوراق تتحدث ... سأناولك الثمن في الحين ، فقال تريد ان تقول أنك ستناولني ثلاثة آلاف ومائتين وسبعة عشر دولارا وخمسة وستين سنسا (Cents) ستناولنيها نقدا ، قال أجل هل السيارة مهيأة للسير ، قال طبعا ... سنأمر بمسحها وبالتأكد من حسن دوران المحرك وبشحنها نفطا ... يستدعى ذلك عشر دقائق فادخل مكتبي لنتم الصفقة

وبعد ثلاث دقائق تقريبا رجع جيم كأنه رج رجا فقال لى من هذا يا أرام (Aram) كنت ظننته مجنونا لكن جوني (Johnny) خاطب بالهاتف بنك الجنوب الغربي (South West) فعلم أن له أكثر من ألف ألف دولار ويبدو ان حسابه آت من أكلاهوما أو جهتها ... كنت ظننته مجنونا ... أتعرفه ؟ ... قلت اسمه حسبما قال لى قاطرة ٣٨ ... وليس هذا اسما ، قال هو ترجمة اللغة الهندية واسمه التام مرسوم بعقد البيع ... لكن أتعرفه أنت ، قلت لقد دار بيننا الحديث كل يوم منذ مجيئه الى المدينة راكبا حماره الذى مات هذا الصباح لكنني ما كنت أعلم ان له مالا ، قال يقول انك ستسوق السيارة أأنت متأكد يا بني من أنك قادر على

سوق سيارة ضخمة مثل هذه السيارة ، قلت مهلا يا سيدي لويس لا تحرمني من هذه الفرصة لان فرصة كهذه لا تعرض للمرء سوى مرة واحدة طيلة الحياة فانا قادر على أن أسوق هذه السيارة أحسن من أى انسان فى هذه المدينة ، قال لست أحاول قط حرمانك من هذه الفرصة لكنى لا أريد أن أراك تخرج من هذا المكان فتدوس ستة أناس أو سبعة لا ذنب لهم وتهلك السيارة فهل تعرف أجهزة السرعة ، قلت لا أعرف شيئا ولكنني سأجد ، قال حسنا ... دعنى اذن أعينك فانتصبت أمام المسير (Volant) وانتصب جيم بجانبى وقال منذ الآن يا بنر نحن صديقان مدى الحياة يجب على أن أشكرك على جذب الهندى الى محل تجارتى قلت كان يقول لى أنه يريد أحسن سيارة فى الوجود وأنت تعلم أنى تمنيت دائما أن أسوق سيارة من نوع الباكار ... لكن كيف يكون ذلك ، قال هيا بنا ونظر الى ساقى قائلا ألله ألله يابنى ان رجليك لا تبلغان الوطائين (Pédales) قلت أشرح لى أسلوباستعمال أجهزة السرعة

وشرح لى كل شيء بينما كان العملة ينظفون السيارة ويراقبون محركها ويصبون النفط فى خزانها ، ولما ركب الهندى السيارة وكنت قد الححت عليه فى الانتصاب فيها من ورائى أدرت المحرك ، فقال الهندى لجيم انه يدعى انه يحسن السياقة بمجرد الغريزة ومع ذلك فانى أعتقده صادقا فى ادعائه ، فقال لا تشغل بالك من أجل أرام انه يحسن السياقة ... فافسح المجال يا غلام ليتوفر له المكان الكافى لسوق السيارة (faire la manœuvre) وأدرت السيارة فى لطف ومهل واستعملت جهاز السرعة وخرجت من المحل فى سرعة ثمانين ميلا فى الساعة بينما كان لويس يجرى من خلفنا صائحا مهلا مهلا يا بنى حتى تكون على الطريق الخارجى فان السرعة القصوى داخل المدينة أربعون ميلا ، وكان الهندى مالكا لهدوئه مع انى كنت أرجه رجا وما كنت أفعل ذلك قصدا لكن ذلك ناتج عن عدم تعودى سوق السيارات لا غير ، فقال الهندى انك سائق ممتاز فأنت - كما قلت لك - أمريكى قد ولدت معك معرفة هذه الانواع الآلية ، قلت سنكون بمندوت بعد ساعة وسترى ما أفوز به من صيد ، قال كم تبعد عنا مندوت ، قلت مائة وخمسة وأربعين ميلا ، قال انها مسافة طويلة أطول من ان نطويها فى ساعة واحدة فاطوها فى ساعتين ودعنى أتأمل من قريب المنظر الذى هو مغر شديد الاغراء ، قلت طيب ... لكن بى رغبة ملحة فى الوصول وتعاطى الصيد ، قال فسر اذن بأسرع ما تقدر لكنى آمل أن تسوق بى يوما من الايام بسرعة أقل فأتمكن من تأمل البلاد فالآن لا أظفر بشيء فأنت لا تمكنني حتى من قراءة علامات

الطريق . قلت ان تـرد أقدر على السوق على مهـل ، فقـال لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ سر بأقصى سرعـة

وما كادت تمضى سبعة وسبعون دقيقة حتى وصلنا مندوت وكان فى وسعى أن أطوى المسافة فى وقت أقصر لولا تلك القطعة من الطريق الرديئـة ، فأوقفت السيارة على ضفة النهر ، فسألنى الهندى هل أعرف توجيه السيارة بحيث تكون مظلتها من أمام فيمكنه أن يشاهدنى وهو جالس بمكانه ولم أكن أعـرف كيف يكون ذلك لكنى أنجزت ما طلب منى بعد محاولة دامت عشرين دقيقة

وصيدت مدة ثلاثة ساعات وزلت بى قدمى فسقطت مرتين فى المـاء وفى آخر الامر أخرجت سمكة صغيرة ، فقال لى الهندى أنـك لا تحسن الصيد قط ، قلت ما الذى صنعته ولم يكن صوابا ، قال كل شيء ٠٠٠ هل حدث لك ان صدت قبل الآن ، قلت لا ، قال ذاك ما ظننته ، قلت وما الذى كنت فيه غير مصيب ، قال لا شيء بالضبط لكنك كنت تصيد بنفس السرعة التى كنت تسوق بها السيارة ، قلت وليس ذلك صوابا ، قال ليس ذلك خطأ بالضبط لكنه يمنعك من الحصول على السمك ويجعلك تستمر فى السقوط فى الماء ، قلت أنـا لا أسقط انما أنـا مدفوع الى ذلك اذ العشب مزلقة ولا شيء يتمسك به المرء

وواصلت صيدى زمنا قبل ان أسأله هل يريد الاياب ، فقال سنعود ان أردت

وقضيت ذلـك الصيف كله أسوق الباكار الضخمة فى خدمة ذلـك الهندى أوجيبـواى المسمى بالقاطرة ٣٨ وسقتها كل المـدة التى قضاها بالمدينة وكـان يسكن النزل وحاولت أن أعلمه السياقة ، فقال لا تفكر فى ذلك

قضيت ذلك الصيف كله أجول فى وادى سان جواكين (San Joaquin) والهندى وراء ظهرى يلوك ثمانى علب أو تسعا من اللوك معا وكنت أقصد المكان الذى كنت أريد قصده فكنت أذهب الى حيث أتمكن من الصيد البحرى أو البرى وكان يزعم أنى أعرف شيئا من الصيد لكنه كان يسر برؤية محاولاتى فى ذلك ولم أره يضحك سوى مرة واحدة مدة معرفتى له وكان ذلـك يوم استعملت فى الصيـد بندقية كبيرة عنيفة الدفع فأطلقت عـلى أرنب فأصبت غرابا وليس أحد غـيرى يمكنه ان يطلق على أرنب فيصيب غرابا ، فقال أنك لامريكى حق ٠٠٠أنظر كيف تسوق السيارة

وفى يوم من أيام نوفمبر أتى أخوه من أوكلاهوما وقيل لى من الغد أنهما رحلا

الاثنـــان ، قلت والباكار قـال البواب لقد أخذا معهما الباكار ، قلت ومن كـان يسوقها ، قال الهندى ، قلت لكنهما الاثنين هنديان فمن من الاخوين ، قال الذى كان نازلا هنا ، قلت أأنت متيقن من الامر قال لقد رأيتهما يركبان السيارة خارج النزل ويرحلان هكذا ، قلت تريد أن تقول أنه كان يحسن استعمال جهاز السرعة قال كان يظهر ذلك وفى ظنى أنه يسوق السيارة سوق صاحب المهنة ، قلت شكرا

كنت أقول وأنا داخل منزلى انهـا مجرد خدعة لقـد أراد أن يوهمنى أنـه لا يحسن السوق ليمكننى من سوق السيارة طيلة زمن اقامته ولا يضايقنى فى ذلك فكان ذلك الشاب الذى أتى المدينة على حمار وقد كاد يقتله الملـل فانتهز فرصة لقاء صبى من صبيان المدينة كاد يقتله هو أيضا الملل فوجد فى ذلك تسلية

هذا هو التأويل الوحيد الممكن لذلك الامر ان رفضنا ما كان يظنه الرأى العام من أنـه مجنـــون .

نعتـذر للسادة الشعـراء الذين لم ننشر لهم قصـائدهم في هذا العـدد نظرا لانه خاص بقضية القصة التونسية ونخص منهم الادباء السـادة :

احمـد مختار الـوزير
الشـاذلي عطـاء الله
محمـد الشعبـوني
محسن بن حميـدة
نـور الدين صمـود
عبـد الرحمان اللموشي وغيرهم

حبل

قصة لبنانية بقلم جواد صيداوي

لـو يستطيع التخلص من هذا الارق المميت ، ومن هذا الالم الحاد المتشبث بمؤخرة رأسه ، لو يستطيع ذلك فقط ولا أهمية لما سيأتي به الغد ٠ انه يحس كأن رأسه يكاد ينفجر فيضغط عليه بكفيه ، ثم ينهض من فراشه بهدوء الى حنفية الماء ويفتحها على رأسه فيخف الالم قليلا ثم يجفف شعره ويعود الى فراشه محاولا النوم ولكن عينيه تأبيان الغمض بعناد ، وزوجته الممددة حذوه والغارقة فى رقادها تزيد وحشته ، وتتابع شخيرها الرتيب يترك خطوطا سوداء فى فوضى أفكاره ، فيزداد الامر تعقيدا ، ويعود الالم ليتشبث من جديد بمؤخرة رأسه فيتسخط ويتململ ، ثم يسب دين الساعة التى استأجر فيها دكانه فى وسط البلدة تماما ، ففى كل اضراب وفى كل مظاهرة ، حتى فى كل عراك أو شجار يلحقه النصيب الاوفى وكأنه مسؤول عن مشاكل البشرية بأسرها ، لماذا لم ينزو فى زقاق من تلك الازقة الخلفية فيمكنه العمل بهدوء فى أحذية الزبائن ؟ لماذا لم يفعل ذلك وخاصة ان زبائنه يعرفون متانة صناعته فيقصدونه حيث كان ؟ ثم من أين هبطت هذه المشكلة الجديدة حرب الجزائر ، فعند علمه ان المغرب العربى قد استقل بكامله فما هى الحكاية ؟ وهذه العاهرة فرنسا ماذا تنتظر لتتوب وتثوب الى صوابها ، ماذا تنتظر ؟ لقد شعر بالضيق منذ لاحظ ذلك الوفد الصغير من الشباب يتجه بحذر نحو دكانه ويقول له :

ــ يا سيد أحمد غدا الاحد هو يوم الجزائر وأنت بتعرف شو معنى ذلك ٠٠٠

نعم ، هو يعرف معنى ذلك ويعرف جيدا معنى الاضراب والتظاهر ، والاصطدام بالدرك والاعتقال والسجن وهروب الزبائن وخراب البيوت ، انه يعرف كل ذلك يعرفه جيدا

وينقطع حبل أفكاره ووساوسه على شخير زوجته ويعود احساسه بالالم فى مؤخرة رأسه قويا ، فيعود الى التسخط والتململ ويحس بأنه يلامس جسم زوجته البض ٠٠٠ ولكن أين هو الآن ؟ صحيح ان هذه السنة هى الاولى فى حياته

الزوجية وانه يحب زوجته وهى تحبه ، وان هذا البطن المتكور وليد هذا الحب ، وربما تكون هذه الملامسات مقصودة من زوجته ، ولكن أين هو الآن ؟٠٠

ولما فتح عينيه عند الصباح ظن انه ما زال فى أرقه المضنى ونظر ناحية زوجته فلم يجدها فأدرك انه الصباح فتشهد وشعر بأن الالم فى مؤخرة رأسه قد خفت وطأته وشعر بالرغبة الى زوجته ولكنها كانت قد انسلت باكرا كعادتها الى شؤون يومها الجديد ، فنهض بتثاقل ، وتثاءب مرات متتالية ثم انتصب وسط الفراش ، ثم تقدم بوهن نحو حنفية الماء وعاودته وساوسه وهو يغتسل ويمشط شعره ٠ كيف سيمر هذا النهار يا ترى ؟ ماذا عليه لو قبع فى بيته لا يغادره أبدا ، وارتعب لهذه الفكرة ، هو أحمد علوان يقبع فى بيته فى يوم كهذا اليوم ، معاذ الله ! معاذ الله ان يبيع ماضيه المجيد بهذا الثمن وهو الذى ما تخلف مرة عن مظاهرة قامت بها البلدة ، معاذ الله ان يفعل ذلك وآثار سياط الفرنسيين والسنغاليين ما زالت فوق جلده منذ معارك الاستقلال ، وانتبه على صيحات زوجته تدعوه لتناول فطور الصباح ، فازدرد بضع لقمات على عجل دون ان يرفع نظره الى زوجته ، انه لا يدرى كيف يشرح لها الامر ، ولكنه فوجىء بصوتها الهادىء يقول فى شىء من الخشية :

ـ سمعت ان النسوان بدهم يقوموا بمظاهرة اليوم للجزائر مع الرجال ٠٠

لم تكن قد أتمت كلامها عند ما رفع رأسه بسرعة كمن تلقى لكمة عنيفة فى أسفل ذقنه وصرخ فيها :

ـ النسوات ؟؟٠٠

فأجابت مبهوتة مضطربة :

ـ هيك سمعت ٠٠

وأطرق من جديد ، وشعر بالخجل ثم وقف لينصرف ورأسه مائل دائما الى أسفل ، وقبل ان يتجاوز عتبة الباب ترامى اليه صوت زوجته خافتا حييا :

ـ بتسمحلى أمشى بالمظاهرة مع النسوات يا أحمد ٠٠

فتسمر فى مكانه وأحس ان اسمه خرج من بين شفتيها ناضحا بالمحبة والحنان فود لو يعود ادراجه ويضمها الى صدره فلم تساعده قواه ، فأجاب دون ان يلتفت اليها :

ـ معلوم لازم تمشى ٠٠

ولاحظ ان صوته خرج قويا وجريئا دون ان يقصد ذلك ، وقبـل ان ينفلت خارج الباب التفت ناحية زوجته فرآها تبتسم

وصل الى الساحة فوجدها خالية من الناس الا بعـض بائعى الخضار الذيـن يبكرون الى أعمالهم ، واتجه ببطء نحو دكانه فوجد أمامه أجـيره الصغير حسين متكوما على عتبة الدكان ينتظره كعادته كل صباح ، فلما رأى الصبى معلمه أحمد قفز كالقرد المذعور وغمغم تحية الصباح ، ثم مد يده الى معلمه ليأخذ المفتاح ، فأجابه هذا بجفاء :

ــ طول بالك شوى ..

وتعجب الصبى من تصرف معلمه ولم ينبس بكلمة بـل عاد بهدوء الى عتبـة الدكان وتكوم عليها من جديد

بدأت ساحة البلدة الرئيسية تغص بالناس ورأى أصحاب الدكاكين يتجولون أمام دكاكينهم حائرين مترددين ، ومنهم من فتح دكـانه نصف فتحة ، وبدأت التجمعات هنـا وهناك ، وتعالى اللغط من كل جانب ، فلم يدر ماذا يفعـل . وأطلت من ناحية السراى جماعات صغيرة من رجال الدرك بخوذاتهم الفولاذية وبنادقهم اللماعة فتراجع أحمد نحو دكـانه وألقى بالمفتاح الى أجيره وعـاد الى وسط الساحة وكـأنه تخلص من عبء ثقيل ، وسمع رجال الدرك يطلبـون من الناس ان يتفرقوا ، وأطل ضابط المركز وبيده السوط وأخذ يتبختر وسط الساحة مهددا متوعدا كديك يتأهب للعراك ، فتعوذ أحمد بالله وتحول حقده الى مرارة أفسدت مذاق فمه والتفت نحو الدكان فوجد الصبى واقفا أمـام البـاب المغلق كالصنم والمفتاح يتدلى من يده وعيناه تتتبعان ما يجرى فى أطراف الساحة

وبـدات أعصابه تحترق فهو يخشى الاقتـراب من الدكان لئلا يجبره رجـال الدرك على فتحـه وهناك الشتائم والسمعة السيئة وهو لا يمكنه الانتقـال الى الناحية الثانية حيث يتجمع أهل البـلدة رجالا ونساء ، وفجأة شاهد رجـال الدرك يتجمعون وسط الساحة ويشكلون حاجزا بين طرفى الشارع الرئيسى ، فأدرك خطورة الموقف وبدأت شفتاه ترتعشان عند ما سمع هتافا جبارا يشـق أجـواز الفضـاء :

الجـزائـر عـربيـــة   يـا طـلاب الحـريـة

وأبصر بجمع هائـل متراص الصفوف يتقدم نحو الساحة ورأى السواعد

ترتفع وتهتز وعددا من الشباب محمولين على الاكتاف ، ووراء مظاهرة الرجال تسير النساء وهن يهتفن بدورهن :

ما منا من خاف المجازر   في تحرير الجزائر

فالتهب دمه وأحس بشبه دوار واضطربت المرئيات أمام عينيه وتبين ان المتظاهرين يقتربون من رجال الدرك ، وبعض الشباب الذين كانوا في ناحيته يتسربون الى ناحية المظاهرة من الازقة والمسارب الخلفية ٠٠ وشعر بالدم يتفجر من عروقه وأحس بشيء فظ قد استقر في أسفل حلقه ٠٠ كان الصدام قد بدأ عند ما تسلل وسط جماعة من المحجوزين في ناحيته وهتف فيهم بأعلى صوته :

لا استعباد ولا استعمار   مغربنا أرض الاحرار

لم يدر كيف تركب معه هذا الهتاف انما شعر بقيمته عند ما سمع رعد الاصوات الخشنة التي استجابت لهتافه وكأن تيار كهربائيا مسها ووجد نفسه يرتفع على الاكتاف ، وأخذ يجأر بصوته بقوة حتى كادت حنجرته تتمزق ، وقويت مظاهرته وتضخمت وبدأت تتقدم باتجاه الدرك الذين فوجئوا بهذه المظاهرة التي داهمتهم من الوراء واشتد عليهم الضغط من كل جانب فأطلقوا بعض الرصاصات تخويفا ، فاشتد الغضب بين المتظاهرين وتعالت هتافاتهم بقوة وعنف وتقطع الحاجز في عدة نقاط والحسان يلهبن الحماس بأصواتهن ، وهنا أدرك ضابط المركز بأن العنف لن يجدي بل ربما أدى الى ما لا تحمد عقباه فأشار الى رجاله بالابتعاد الى أطراف الساحة ، فالتقت المظاهرتان لتشكلا بحرا زاخرا من الجماهير ، وبقي أحمد محمولا على الاكتاف لا يكل عن الهتاف والتنديد بالمستعمرين والاشادة ببطولة الجزائريين ، ومن حين لحين كان يرسل نظره ناحية النساء علـه يظفر برؤية زوجته ، وفي خضم هذا الزحام كان أجيره الصغير يتشبث بطرف قدمه وكان يحاول ان يساهم في رفع معلمه ، معلمه البطل ٠

اصلاح خطإ

ان المسرحية القصيرة التي نشرت بعدد مارس الاخير تحت عنوان «وستلتقي منا الارواح» ليست بقلم علي الفراتي كما ورد ذلك خطأ بل علي القراطي

الكفر سوس

قصة بقلم الكاتب المجري تيبور ديرى
نقلها محمد العربي عبد الرزاق

الليـــــل مقبل ، وكان المطر ينز بطيئا من السحب المنخفضة ، وكان هنـا وهناك بين بلاط الرصيف الوحل غدير يلمع

أسرع الشيخ فى مشيته كى يصل قبل ان يجن الليل • وكانت نوافذ عمارة ملتهبة فى الجانب المقـابل من الطريق ترسل أعمدة ملتوية كثيفة من الدخـان ، أسود كالحمل الناعم ، يتخللها زفير السنة دقيقة من النار • وكان نورها الاصفر البراق ينعكس على ما سلم من طبقات زجاج المنزل المقابل • وكان الشارع خاليا سوى جندى ميت ملقى بين هشيم الزجاج وسط الطريق وقد اختفى وجهه خلف يـده المنثنيـــة

وفجأة توقف الشيخ أمام واجهة دكان زبادة • فقـد كان رأس فرس داكـن اللون ذو ذؤابة شقراء يطل على الطريق من اطار الباب الضيق • وهمس الشيخ متعجبا : « كيف جئت الى هنا ؟ » ثم انحنى فألقى نظرة داخل الدكان الصغير • كانت مؤخرة الفرس تمس الجدار الداخلى حيث علق اعلان مطبوع على ورق رمانى اللون ، وقد حصر جنباه بين مصرف أبيض يمينا وثلاجة منقلبة شمالا • وتراجع الشيخ ثم رفع رأسه فقرأ لوحة الواجهة التى كان خلعها ضغط أحد الانفجارات فبقيت تتدلى فى انحراف • وتوصل بعناء فى ظلام الليل المقبل الى قراءة هـذه الكلمات : (لبن ـ زبدة ـ بيض) • وبعد ذلك عاد من جديد يتأمل الفرس بانتباه ثم أعرض عنه هازا رأسه وواصل طريقه • فدفع الفرس الباب برأسه وتبعه • ولم يكـن عليهما ان يذهبا بعيدا • فقد كان الشيخ يمشى متقـدما وهـو مطرق برأسه وأذنه منتبهة الى وقع الحوافر المنتظم فوق الطريق المغطى بالوحل • وفجأة وبينما كان الشيخ قد توغل فى شارع جانبى ، انقطع وقع الحوافر وكأن الفرس قد توقف ليفكر • لكنه لم يلبث دقيقـة حتى أدرك الشيخ راكضا ركضا عصبيا سريعا يضطرب وقعه اضطراب قلب خافق من شدة القلق • وبعد ذلك بقليل لجأ

الرجل الى حيلة فمال من جديد الى شارع جانبي ، فتوقف الفرس كذلك من جديد ثم ما لبث ان أدركه راكضا بنفس السرعة • وهمهم الرجل في حدة : « انه أعمى ! أعمى من كلتا عينيه »

وكانت الشوارع خالية هادئة ، سوى دوي خافت لطلقات رشاشة عن بعد • واجتازت الساحة وراء الكنيسة الكبيرة امرأة منثنية تتخبط رجلاها في الثلج والوحل ثم غابت وراء باب كبير • وفي مكان آخر كان الطريق العريض مغطى بالزجاج المهشم تنعكس فيه سماء الشتاء القاتمة جامدة كما لو كانت أسيرة الثلوج • وكان الليل يتقدم بسرعة • وحين وصولهما أخذت قاذفات الالغام تعمل في جهة (بودا) ، وكانت طائرة مطاردة تحلق في ارتفاع قليل وهي تكاد تمس السطوح

نزل الفرس المدرج الضيق الملتوي المؤدي الى السرداب في خفة نادرة وراء صاحبه الجديد ولم يتعثر الا في الدرجة الاخيرة اذ سقط على ركبتيه وانزلق على بطنه في مدخل الملجأ المظلم • ولكنه لم يكد يمس الارض حتى قفز واقفا من جديد على حوافره المصفحة الداوية ، ثم قدم رأسه واندفع في الدهليز الطويل المؤدي الى سراديب الفحم

ولم يكن يرى في تلك الليلة الليلاء سوى شرارات صفر تنبعث من الحوافر المصطدمة بالارض وكأنها اشارات استغاثة من مشرف على الهلاك

ثم أرسل الفرس صهيلا طويلا فيه نبرات توجع • وكان الدم يسيل من قفاه وحاركه وقد جرحهما سقف السرداب المنخفض من مواضع ثلاثة • ولما بلغ آخر الدهليز وقف فجأة واندفع رأسه الى الامام

وكان الناس داخل الملجأ يتأهبون لليل • وعند سماعهم الدوي المريب الذي أحدثه الفرس بسقوطه اندفع غالب الرجال وبعض من النسوة نحو المدخل ثم ذهبوا الواحد تلو الآخر حتى بلغوا سراديب الفحم وقد اشرأبت أعناقهم تشوقا لمعرفة ما حدث • وفجأة وقف المشرف على الملجأ وكان يتقدم الجماعة ورفع المصباح الصغير الذي بيده فسالت الاشباح يمنة ويسرة نحو الارض وبقيت رابضة في أسفل الجدران وكأنها الخمائل يكمن الشر في طياتها ، وأنار المصباح عجز الفرس بين أطار الجدران وتحت أقواس السقف • عندها أرسلت احدى النساء صوتا خافتا وأغرق الرجال في الضحك حتى ان البواب ــ وهو رجل سمين ذو شارب أشهب ــ كان يكاد ان يستلقي • ورسم أحد الحاضرين علامة الصليب • أما

المشرف على الملجأ وهو السيد (بيكنيتسكى) المستشار بمجلس المحاسبات ، فانه زاد فى رفع مصباحه وحدق متعجبا فى ذيل الدابة الغليظ الاشقر وهو لا يكـاد يصدق ما يـــرى

وتنفست امرأة الصعداء وهى تقـول : يا له من مسكين ! أنظروا اليه كيف يرتعش ! فالتفت الفرس برأسه وكأنما فهم ما قالت ، ولمعت عينـاه الداكنتان الواسعتان تحت نور المصباح

وهتف المشرف : ـ ما هذا الصنيع يا عم (يانوس) ؟ لم جئت به الى هنا ؟

فمسح الشيخ بكفه العرق المتصبب من صدغيه وقـال بصوت خافت : « لـو تركته خارجا لكانت تقتله بعض القذائف »

ولم يفه أحد بكلمة بل كان أهل الملجأ قد شخصت أبصارهم وسادهم صمت عميق وعلا الهم نظراتهم وشبك أسنانهم ٠ وكأن ردف الفرس السمين الندى قد بعث العطف المسيحى فى القلوب والضراعة والقساوة فى الاحشاء ٠ وكان الفرس ملتفتا نحو الجماعة وكأنه يتأملهم فى لطف وتعاطف

وفجأة نطقت امرأة قصيرة هزيلة فقالت : حقا ان هذا المصباح يضىء جيدا ٠ اننا نـرى الآن كل شىء فى منتهى الوضوح ٠ وهمس البـواب وهو مغـرق فى التفكير : « حقا انه يكون قد هلك لو ترك خارجا »

أما الام (مارى) وهى أرملـة اسكاف ، فقـد تقدمت خطوة ومسحت بيدهـا المتخددة على جنبى الفرس فى تردد ٠ فأرسل منظارها بريقـا جافيا ، وكانت ورثت ذلك المنظار من زوجها ولم يكن بصرها فى حاجة اليه انمـا كانت تحمـله اخلاصا للزوجية

وصاح أحدهم : حذار ! ان بامكانه ان يرمحك بحافريه

فرد السيد (أندرازى) عامل المقهى الاعرج قائلا : « انه عجوز طاعن فى السن فهو لا يقـدر على ايذاء بعوضة ! »

فتشجعت العجوز وازدادت من الدابة اقترابا

ثم سأل البواب قائلا : « أين عثرت عليه يا شيخ (يانوس) ؟ » فمسح الشيخ من جديد بجبهته التى اختلط فوقها المطر بالعـرق ٠ ثم حدق بنظرة رصينـة نافذة فى تلك الوجوه التى ينيرها المصباح وقد التفتت كلها صوبه فى حركـة واحدة ، وقال : « أنا لم أبحث عنه ، انما قد جاء بنفسه ٠ رأيته فى دكان زبادة قرب المصرف ، كان ينظر فى الطريق ، وكانت المنازل المواجهة له تلتهب ٠ وقد

تناثر بلاط الطريق اثر انفجار لغم وكان وسط الطريق دبابة محطمة ما انفك الدخان يتصاعد منها . ولم يكد يلاحظ وجودى حتى غادر الدكان وأخذ يتبعنى. نعم ، كان الطريق مغمورا بالجثث وكنت أنا الحى الوحيد ولذلك تبعنى . يا للدابة المسكينة ! »

وسألته (مارى) قائلة : « هل كلمته ؟ » فحرك الرجل رأسه نافيا ، ثم أضاف قائلا : « لم أفه بكلمة واحدة » . ثم سألته امرأة أخرى : « ولكن كيف دخل الدكان ؟ » فأجاب الشيخ فى كآبة : « انى أجهل ذلك ، كما انى لست أدرى كيف نزل المدرج مع أنه أعمى من كلتا عينيه » فصاحت الام مارى متنهدة : « هو أعمى ؟ »

وساد صمت قصير . ثم جاءت من أقصى الملجأ أصوات أطفال مرحة داوية وعقب ذلك دوى انفجار بعيد وسرت فى مؤخرة الفرس رعشة خفيفة . فصاحت (يولى صوفانى) ـ وهى يتيمة كفلتها خالتها حبا منها فى المعروف ـ قائلة : « انه خائف » ثم أخذت تردد وقد ضمت يدها الى صدرها : « يا الهى ! كم هو خائف ! » ومسحت سيدة عظيمة القوام دموعها . فقد ذكرها بريق ذيل الفرس الاشقر طفولتها الشقراء البعيدة خلال سلسلة معقدة من الصور والخواطر . وغمرت النساء موجة من العطف المفرط سرت فيهم دفعة واحدة كالتيار الكهربائى ، فجرت دموعهن واحمرت أنوفهن واقشعر شعرهن . فقد ادهشهن نظر الفرس الهادىء الذاكن وقال الشيخ ببطء : « انى لم أشأ أن أطرده . فانه حتى ولو سلم من القذائف يكون ضحية لبعض الاشرار من اللصوص » . فقال رجل من داخل الدهليز بصوت فيه بحة : « مهما يكن من أمر فاننا لسنا فى غنى عن شريحة من اللحم »

فالتفت المستشار (بيكنيتسكى) فجأة وقال بصوته الحاد : « اذن فليبق . ولكن عليكم ان تغيروا وجهته حتى يكون رأسه متجها نحو الخارج . قودوه الى المدخل فان المكان هناك يتسع لحركاته ولنأخذه معنا فسوف نشده الى قفل سرداب الفحم . وتقومين أنت يا (يولى) برفع الاوساخ صباحا ومساء

وأجابت (يولى صوفانى) قائلة : «نعم يا سيدى »

ثم قالت احدى النساء متسائلة : « ولكن بماذا عسانا نغذيه ؟ » فتنهدت الام (مارى) وقالت : « وحتى لو بقى خارجا فانه كان يموت جوعا »

فقال عامل المقهى الذى كان يحتفظ بعاداته الصناعية حتى فى اندفاعاته العاطفية : « انى سوف أقدم له العشب أحمله اليه من ساحة الحرية »

وقال أهل الملجأ فى أنفسهم انهم على كل حال لا بد ان يجدوا له شيئا ما

ولما فض مشكل الضيافة فى مستوى المبادىء عاد الجماعة الى حيث كانوا تتقدمهم يولى صوفانى وهى تجرى لما كان عليها من تسخين عشاء البواب وزوجته · فتعثرت فى جريها وهوت على بطنها وهى ترسل أنة ضعيفة

ثم جاءت وراءها الام (مارى) الارملة ذات المنظار ومعها أرملة أخرى كانت تغسل الثياب فى ديار الاغنياء المجاورة بشارع نادور · وكان بينهما تجاوب عميق ، وكانت كلتاهما قصيرة نحيلة جافة حتى أنهما كانتا عند ما تتوقفان للتحدث أشبه شىء بنارى شمعتين ترقصان وسط طبقات الظلام السحيق · فهما لا تنيران الظلام الدامس بل تكتفى كل منهما بانارة الاخرى

وقالت غاسلة الثياب : « لا شك أنك لاحظت ذلك أنت أيضا يا عزيزتى »

فتوقفت الام (مارى) وحولت نحو مخاطبتها بريق منظار زوجها المرحوم · ثم سألت فى لطف : « وماذا عسانى كنت ألاحظ يا سيدتى (دانيسكا) ؟ »

فأجابتها الاخرى هامسة : « انما عنيت تلك الهالة » · وهزت الام مارى رأسها فى صمت · فانها كانت تجهل تماما أى هالة تعنى صديقتها · وواصلت دانيسكا قائلة : « انك تذكرين يا عزيزتى انه قبل رجوعنا كان السيد المستشار (بيكنيتسكى) قد ولى بظهره جهة الفرس وكان المصباح بيده وكان يحجب الضوء تماما عما وراءه بقامته الضخمة ··· » ثم أضافت وقد خفضت من صوتها : « وعلى الرغم من ذلك كنا دائما نرى الفرس ··· فقد بقيت الهالة فوق رأسه وكنت لا أصدق ما أرى · وكررت النظر اليه مرارا · فكأنما كان فوق جبهته كوكب منير ! » وكانت الام مارى تسمع فى صمت · ثم أنها قالت بعد هنيهة : « وأنا أيضا لما مسحته بيدى كان جنبه ناعما كوريقات زهرة قد تفتحت منذ قليل »

كان الملجأ يتركب من غرفتين تحت الارض يصل بينهما ممر ضيق طوله ثلاث خطى · وكان فى الناحية اليمنى من الغرفة الاولى شبه دخلة فى الجدار انفرد بها المشرف السيد المستشار (بيكنيتسكى) وهو أكثر الجماعة يسرا · أما البقية من صغار القوم ومنهم أرامل عاملات فى الديار وحلاق شيخ ، وساع أكبر منه سنا ، وصاحبة دكان لبيع التبغ وعامل المقهى الاعرج وعامل بريد متقاعد وأجراء وكذلك بعض الشيوخ ممن لا عمل لهم · فقد كانوا كلهم فى الغرفتين الفسيحتين المنخفضتين السقف المبنيتين بالحجارة الضخمة ينامون على سرر أنزلوها من الطوابق العليا أو على بعض حصر عثروا عليها عثورا

وكانت المدفأة التى تخرج مدخنتها من شباك مسدود لدكان مهمل توجد بالغرفة الثانية من السرداب وفى الغرفة الاولى كان بعضهم يلعب بالاوراق وكان على رف مشرف على الطاولة فتيل فى علبة من القصدير ملئت زيتا ترقص ناره المضطربة فى لون القمر • وكانت الاوراق ذات الظهر الاحمر تتتابع فى تزلج سنورى تحت هذا النور البخيل • وكان الرجال يجلسون حول الطاولة على مناصب • وكان أحدهم متكئا على سرير يكثر من العطاس • ومن حين لآخر كان ظل يد كثيف يصعد حتى السقف فى حركة انتصار ثم يغيب فى الظلام

وقال أحد الرجال : « ان القذف شديد فى الحى » وكان وجهه الضخم ينكب على أوراقه وكأنه شمس فى غروب • ثم أرسل صفيرا طويلا وجلب الرهان أمامه بكفه الواسعة

وهمس جاره وكان شابا قوى البنية يرتدى بدلة جندى : « ليشتد القذف أو لا يشتد فانه لن يصل أبدا الى هنا ! •• من هو حافظ المال فى هذه الدورة ؟ » فأجابه اللاعب الذى أتى دوره بعطاس داو مرح • وعطس اثنان من رفاقه أيضا ثم ختم ذلك ثالث ـ وهو رجل سمين ، أحمر الوجه ـ « بأتشوم » قاصفة كالرعد

وهمهم الجندى : ناولونى الاوراق

كانت الجدران ترتعش باستمرار تحت ضربات المدفعية الثقيلة الروسية ، وأرسلت امرأة من احدى الزوايا ضحكا حادا • وكان هذا الضحك تحت سقف السرداب البارد الذى تسبح فيه بقايا رائحة تعفن وبين هذه الجدران اللامعة الرطبة رطوبة دسمة مباغتا كما لو ان ثريا من البلور أضاءت فجأة بسقف السرداب وكانت يولى صوفانى تعد فراشا لها فى زاوية ، وفلكت اليتاها اليابستان الهزيلتان لحظة وهى تضحك • وفى الغرفة الاخرى كانت النساء بصدد اعداد العشاء • وكان على النار قدر عظيم يغلى فيه حساء لوبياء • وكانت كل منهن تخرج زادها من حقيبة أو من كيس موضوع على رف أو تحت سرير وكان الخبز ملفوفا فى الخرق • أمام الام مارى ، وهى أرملتنا ذات النظارات ، فقد وضعت أناء فيه عسل على جانب فراشها ثم أشارت الى الام دانيسكا الرابضة فى فراشها على مسافة ثلاثة أسرة اشارات عديدة بالاقتراب • وكان نوع من الحياة الجماعية قد تكون هناك • فكان كل من تمكن من شىء اضافى يرى من واجبه تشريك رفاقه الاقربين فى ذلك

ولا يوجد الا أسرتان تأكل كلاهما على حدة وهما أسرة البوابين اللذين جمعا

مواد غذائية كثيرة جعلتهما يرفضان فكرة اقتسامها مع بقية الناس ، وأسرة المستشار التى كانت تهيىء طعامها بنفسها فى مقصورتها

وصاحت امرأة حامل قائلة : يا (يولى) ائتنى بدلو من الماء بعد ان تتمى اعداد الفراش» • فقالت يولى : « حسنا » • والتفتت نحوها امرأة سمينة مبثرة الوجه مع حمرة فيه وقالت للحامل : « هل تريدين أن أجيئك بالماء فان يولى المسكينة ما انفكت تعمل منذ الصباح • لكن ماذا تصنعين بالماء ؟ »

وبدأ على المرأة الحامل شىء من الضيق وقالت بصوت خافت : أريد أن أغسل شعرى ••• ولكن سوف أحضر الماء بنفسى »

وانطلق من ناحية المدخل دوى انفجار ممتد • ولا شك ان قنبلة انفجرت قريبا جدا • وسقط كأس من الطاولة فرن على الحائط • وانبعثت ألسنة النار فى التنور من جديد وأخذت بنت باهتة الوجه سوداء الشعر فى تلاوة دعاء • ثم قالت المرأة السمينة : « انك ستمرضين يا عزيزتى اذا ما غسلت شعرك فى هذا البرد » ثم « أتشوم ! ها أنذى قد أصبت بزكام شديد ! •• »

وكان العطاس ينبعث من كل صوب فى حدة أو فى جزالة ، اذ ان الغبار الذى أثاره انفجار القنبلة كان يدغدغ الانوف • وفى الغرفة الاخرى مجموعة أصوات الرجال تقصف دفعة بعد أخرى

ثم نادت النسوة الرجال وقلن : دعوا أوراق اللعب فان العشاء جاهز • وجثا عامل البريد المتقاعد على ركبتيه وأخذ زجاجة من خمر البرقوق كانت فى علبة عسكرية خضراء ، فتناول منها جرعة معتدلة وقد أمال رأسه الى خلف و نتأت حرقدته • ثم ناول الزجاجة عامل المقهى الجالس الى جانبه وقال له : « أشرب على نخب ذعرنا المقدس ولكن تأن فى الشرب فأن الفراغ قد أخذ يدب فيها » وأجاب العامل متنفسا الصعداء : « على صحتك ! » ونادى بعضهم فى الغرفة الاخرى : « أى (يولى) تعالى هنا » فأجابت (يولى) : « ها أنذى قادمة » وصاحت المرأة التى كانت تحرك القدر فوق النار قائلة وهى تمسح بظهر يدها جبهتها المكسوة عرقا : « انى دعوتكم الى المائدة ••• ان دورى فى الحراسة يبتدىء من الثامنة »

وفى الغرفة الاخرى ترك اللاعبون أوراقهم على الطاولة والتفتوا نحو يولى وكانت قادمة تجرى • وقال الرجل ذو الوجه القرمزى وهو يعطس عطاسا داويا : « انى علمت انه قد جىء بحصان الى السرداب • فما هو نوع هذا البرذون ؟ » وأجابت يولى وقد ضمت يديها على صدرها : « انه فرس كبير

وجميل » ٠ وسألها الجندى قائلا : « لكن من أتى بـه ؟ » فحركت يولى رأسهـا المنفوش بسرعة وقالت : « لست أدرى ٠٠٠ أظن أنه قدم بنفسه » فعبس الرجل فى غضب وقال : « قدم بنفسه !٠٠ كيف قدم بنفسه ٠٠٠ أتظنيننا هنا فى مطحنة يدخلها من يريد٠ الا يمكنك ان تجيبى جوابـا أذكى منهذا ؟ » فقـالت يـولى مذعورة : « لا يا سيدى ! » وسأل أحدهم : « هل هو سمين ؟ » فأشارت يـولى برأسها ان نعم ٠ فتمطق الجندى وقال للبنت : « اذهبى واحضريه » ٠ فالتفتت وجرت نحو الباب ٠ ولكنها لـم تلبث ان توقفت فى نصف الطريق وأسنـدت ظهرها الى الحائط وقالت وقد بدأ عليها التـأثر : « مستحيل ! انـه أعمى » ٠ فصاح الجندى : « ولكن يا غبية ، ما عليك الا ان تقوديه » ٠ فكررت تقـول : « مستحيل ، ان ظهره دام » فضحك الجميع ٠ وقـال الرجل السمين : « لسنا نطلب منك ان تركبيه أيتهـا البلهاء ! » ثم قام وتمطى وضرب يـولى بأصبعه يداعبها ثم قال لها : « ولا تنسى ان تمسحى جزمتى لالبسهما فى الصباح ٠٠٠ أسمعت ؟ » فأجابت يـولى : « سمعا وطاعة » ثـم انصرفت الى الغـرفة الاخرى وتبعها الرجال بخطى بطيئة ٠ ولما مروا أمام المقصورة التى اتخذت منها أسرة (بيكنيتسكى) مطبخا ، داعبت أنوفهم رائحة فطائـر شهيـة ٠ فالتفت الخياط السمين الذى كان يتقدم الجماعة نحو رفاقـه مشيرا بحركات وجهه الى ما كـان يجول بخاطر الجميع ٠ ثم صاح أمام المقصورة قائلا : « ما هذه الطيبات التى أنت بصدد أكلها يا سيدى المستشار ؟ » وأجابت السيدة (بيكنيتسكى) : « لا شىء يا سيد (كوفاكس) سوى بقايا الفطور ٠ انها آخر ملعقة من الدقيق لدينـا يا صديقـــــى ! »

وهز (كوفاكس) رأسه قائلا : « ويلها !٠ انها آخر ملعقة من الدقيق لديها !٠ وابتسم الرجال ابتسامة تنبىء عمـا كان يدور بخلدهم ٠ ثم مروا أمـام النار واحدا بعد الآخر ٠ ورجع كل منهم فجلس على جانب سريره وبيـده صحن من حساء اللوبياء ٠ ولم يعد الوقت وقت عطاس فان ذلك قد يؤدى الى اراقة الحساء على سراويل صاحب الصحن أو سراويل جاره ٠ وانكبوا على صحونهم يحبسون أنوفهم عن التنفس ويسترقون من حـين لآخر أنفاسا خجولة حرجة ٠ ودخـل البواب أثناء العشاء بعد ان ألقى نظرة من الباب الخارجى فأخبر بـأن قاذفـات القنابل الثقيلة الانجلو سكسونية قد مرت بدون شك فوق المدينة لان الطابقين الثالث والرابع من العمارة المقابلة قد انهارا تماما وملأ حطامها الطريق الى ارتفاع قامة انســـان

كان يبدو ان الليلة سوف تكون صاخبة هوجاء ٠ وان المهاجمين يستعدون للغارة ٠ وكان الرجال يمتصون دخان سجائرهم بشىء من الغضب فى مدخل السرداب ٠ (وما كان من أسرعهم الى الخوف الا ان دخلوا الى أعماق السرداب) وكان دوى القذائف الباهت يجرى فى المدرج الملتوى ويتوالى كعقد من الجوهر الاسود النحس ٠ وكانت المدافع المضادة للطيران تنبح بدون توقف من أعلى سطح المنزل المجاور وكان يسمع خلال الطلقات الازيز القاصف لطائرات المطاردة التى كانت تكاد تمس السطوح ودوى المدافع الاتوماتيكية الجنائزى ٠ وقد أثر دوى انفجار قريب على مزاج الساعى الشيخ الذى كان يدخن غليونه قرب المدرج ٠ فقاء عشاءه وذهب فنام داخل الملجا

وفى السرداب سكت الجميع واستسلموا الليل تحت ضوء القناديل المتراقص٠ وجرت المرأة الحامل كرسيها قرب النار ووضعت فوقه دلوا وشرعت فى دلك رأسها بالصابون بقوة ٠ وكانت الى جانبها امرأة أمسكت مرجلا تصب منه ماء دافئا فوق الشعر الطويل اللامع من الرغوة ٠ وكانت أخرى تدفىء منديلين أمام النار للحامل كى لا تصاب ببرد ٠ وكانت (يولى صوفانى) جالسة القرفصاء أمام الفراش المجاور تحل حذاء بائعة التبغ العجوز ٠ وكانت الام (مارى) قد انزوت فى ناحية تحت ضوء سراج وكانت عيناها المحتفظتان بشبابهما تمكنانها من ترقيع ازار الارملة دانيسكا الخلق ٠ أما البنت الباهتة اللون ذات الشعر الاسود فقد غلبها النعاس وبيدها الكتاب المقدس ٠ وكانت جارتها ــ وهى خادمة بأحد المنازل ــ قد أخذت بعد ترسل شخيرا ضعيفا ٠ وفى الغرفة الاخرى كان الاثاث ينقل من مكانه وذلك ان الساعى الشيخ الذى كان فراشه تحت المنفس بالضبط قد أراد تبادل المكان مع الشاب ذى البدلة العسكرية فانه منذ ان هز الانفجار معدته الحساسة لم يعد يتجاسر على البقاء فى مثل ذلك المكان المعرض للخطر ٠ وقد غنم فى الامر لانه صار جارا لعامل المقهى ٠ وهذا الرجل وان كان يصوت بالليل كقطيع من المعز يطاردها الذئب الا انه كان يوزع فى الصباح بين جيرانه المحظوظين شيئا من شحم الخنزير اللذيذ٠ وأخذت المحادثات تتضاءل بين الاسرة وأخذ الشيوخ يخلدون شيئا فشيئا الى النعاس ، وضعفت الانفجارات نفسها منذ قليل حتى كاد يسود السرداب من حين لآخر صمت كامل ٠ وكان فى أثناء احدى فترات الهدوء هذه ان جاء من الباب صوت غريب ٠ فقد أرسل الفرس صهيلا حادا من أسفل المدرج ٠ فرفعت الام مارى رأسها ووضعت يدها على أذنها فى شكل البوق ، وقعدت المرأة الحامل فجأة على فراشها الذى لم يكن

يشاركها أحد فيه ، وذلك كمعاملة خاصة لها • ثم صاحت قائلة : « يا الهى ! انه جائع ! » أما يولى صوفانى التى كانت مشتغلة بمسح حذاء البواب فقد رفعت يدها نحو فمها لرد صيحة الذعر • وبقى قليل من دهن الاحذية عالقا بطرف أنفها يرسل بريقا وقحا • ورسمت الارملة دانيسكا اشارة الصليب وعطس السيد (كوفاكس) • ثم همهم البواب يقول : « لا شك انه أمام الباب بالضبط وهو يطلب الدخول » • فضبط كل من فى السرداب أنفاسهم وأنصتوا • ومرت ثوان انطلق بعدها صهيل يشعر بالوحدة

وألقت يولى صوفانى بحذاء البواب وصاحت : « ولكنه يريد ان يتعشى » • فقفزت المرأة الحامل من فراشها حافية القدمين ، وخرجت الارملة دانيسكا من تحت غطائها ذى المربعات البيضاء والحمراء • وما هى الا دقيقة واحدة حتى كان جميع أهل السرداب وقوفا • فقفز المستشار (بيكنتسكى) المشرف على الملجأ خارج مقصورته وقد لمعت شفتاه وبدت على جبهته تجاعيد الانزعاج وسأل فى غضب : « ما سر هذه الجلبة ، فهل خرت الدار من حولنا ؟ » فقالت الام مارى فى تأثر شديد : « انه الفرس ياسيدى يريد ان يدخل » • فقال المشرف ساخرا : « لا شك انه يريد ان ينام على سرير ! انى كنت أعلم ان هذا الفرس سوف يخلق لنا مشاكل • والآن ماذا عساكم تفعلون ؟ » فقالت غاسلة الثياب العجوز : « يجب ان نقدم له شيئا يأكله • فمن يدرى منذ كم لم يأكل المسكين شيئا » • وأتى بيكنيتسكى حركة فارتسم ظل يده الكثيف على الجدار مهددا مثل عصا قابيل • وبعد حين هز الارض المكسوة بالآجر الاحمر انفجار عنيف

ثم ان المستشار عاد ـ وكان السمع قد رجع الى أذنيه بعد ان سدهما فترة وهدأ روع قلبه من بعد انداخله الهلع ، فقال : يجب ذبح هذا الفرس • فاننا مهما فعلنا لا يمكننا ان نوفر له قوته » • فقالت الام مارى بصوت حاد : « حفظنا الله من مثل هذا » وأضافت المرأة الحاملة قائلة : « أبدا » وغطت عينيها بيدها وكأنها تطرد مشهدا مهولا • وشرعت احدى خادمات المنازل فى بكاء عصبى حاد

وكان الرجال قد غادروا بدورهم فرشهم أثناء ذلك ، فجاء عامل المقهى الاعرج وقد احمرت وجنتاه ، ورفع عكازته فى وجه المشرف قائلا بصوت قاطعه الغضب : « ان هذا ليس من نصيبك • فهل تجرأ على غرس مديه فى دابة مسكينة جاءت الينا مستنجدة ؟ ان غيرك له رأى فى الامر أيضا » • وحرك الساعى الشيخ قبعته موافقا ، وكان ما يزال تحت تأثير ما أصابه منذ حين • وقال عامل البريد

المتقاعد : « انه لامر مؤسف حقا بالنظر الى دابة فى هذه قيمة » . ثم ذهب وراء الارملة دانيسكا نحو الباب الخشبى المضاعف الذى يغلق مدخل السرداب ووجدوا الفرس فى المدخل ولكنه لم يكن بمفرده بل كان الشيخ يانوس الى جانبه يغسل جروحه بماء دافىء يأخذه من دلو على ضوء فانوس كبير . وكانت الدابة ساكنة وقد رفعت رأسها فى خيلاء واستقبلت القادمين بعينيها الداكنتين البراقتين فتوقفوا وجسين وتراجعوا الى وراء

وقالت الام مارى وهى تتشمم بأنف يقظ الرائحة القوية المتدفقة من شعر الفرس الندى يتصاعد منه البخار : « انه ليس بأعمى هذا الفرس »

وعلا صوت الارملة دانيسكا وهى تقول : « بودنا ان نعطيه شيئا يأكله » ولم يجب يانوس بل كان يحدق فى ظهر الفرس . وقد لاحظ الجماعة انه انتهى من مسحه ورددت المرأة فى شىء من الخجل : « هلا يجب ان نعطيه شيئا يأكله يا شيخ يانوس ؟ »

وصاح الشيخ فى غضب : « لقد قضيتم وقتا طويلا تفكرون فى الامر ؟ والآن ماذا أحضرتم له » ، وكان جسد الفرس يومض تحت ضوء المصباح الضعيف ببريق اضطر الام مارى الى اغماض عينيها . ثم انها قالت : « انى أتيت اليه بقطعة خبز » وقال عامل البريد : « وأنا كذلك » وقال صوت آخر : « وأنا جئت بقطعة من سكر »

وساد صمت تناظر الناس فيه مستفسرين . وهمهم الشيخ يانوس قائلا : « ان هذا كله لا يمكنه من العيش طويلا »

ان الفرس لا يأكل حساء اللوبياء ولا شحم الخنزير ولا حتى العسل . ثم تطوع عامل الحلاق المسلول ذو الشارب الابيض باهداء شىء من التبن الذى يفترشه . وقد كان حضريا يجهل ان الفرس لئن كان ينام فوق التبن فانه لا يأكله . وسأل الشاب ذو البدلة العسكرية قائلا : « هل منكم من لديه شىء من الذرة ؟ » فقالت احدى غاسلات الثياب ان لى منها نصف كيس جاء به ابنى لتغذية وزة ولكن لم تكنْ لدينا وزة . ان الكيس فى بيتى فى الطابق الاعلى

وفى الساعة العاشرة مساء سكنت معظم المدفعية الروسية البعيدة المدى . وكانت المدينة تسبح فى ليلة ساطعة الكواكب . ولم تجرؤ غاسلة الثياب على الصعود الى الطوابق العليا فبادر الشيخ يانوس بالصعود مكانها وسلك المدرج الموجود فى مؤخرة الساحة وكان محميا من طلقات المدافع ، ولما وصل الى الرواق المكشوف جمع كل قواه ثم أخذ يجرى حتى بلغ بيت العجوز

وعبثا حاول ان يجد كيس الـذرة وقد فتش عنه فى كل مكـان ونظر تحت السرير ولكنه لم يكد يجد سوى بعض السوق قد نزع حبها وتركت فى ناحية من بيت المهمـــلات ٠

وكانت نافذة الغرفة تطل على طريق ضيقة تؤدى الى رصيف نهر (الدانوب) وكان من ينحنى خارج النافذة يستطيع ان يرى النهر يكسوه نور القمر وعـلى ضفته المقابلة شبح جبل (الفار) المنتصب الداكن ، تتوجه قباب القصر الملكى ٠ وكانت ريح باردة تعصف فوق النهر فتصور على صفحته مويجات فضية وكانت تلك الريح تدخل الغرفة أحيانا فترفع قطعا من ورق كساء الجدران ذى الزهور الذهبية ٠ وكانت صومعة كنيسة (ماتياس) تشبه نبلة توشـك ان تنبعث من الجبـل سوداء قاتمة فى السماء الزاهرة وفى السفح كانت البيوت قد هجرتهـا الحياة منذ ابتداء الحصار تنظر الى النهر الوحيد بعيونها الميتة ٠ وكان يبدو ان المدينة قد نبتت نبات الحشيش المشتبك وكان منظرها الممتد للرائى مشهدا من الفظاعة والاضطراب تسرى فيه همهمة مريبـة تقطعها طلقات البنادق عن بعـد وكان نهر (الدانوب) وراء دار البرلمان يجـر نحو جسر السلاسل صورة حمراء لمنزل ملتهب انعكست فى مياهه

واقشعر جلد الشيخ يانوس فغادر النافذة وظل واقفا يحك رأسه ناظرا أمامه وقد كان يشعر بملل من بحث طويلا عن حل لغز فلم يظفر بذلك ، وأجال نظره فى الغرفة من حوله ثم اقترب من الجدار واقتـلع خرقة من ورق الكساء كـانت الريح تحركها

وفى الباب اعترضته غاسلة الثياب فصاحت قائلة وهى تجس وجهه بيدها ذات التخاديد العـديدة : « يا الهى ! لقـد حيرنى طول غيابك وكنت أخشى ان يكون قد أصابك سوء فلم أتمالك من الصعود ٠ ولكن خوفى كان شديدا جدا حتى انى سقطت عند وصولى الى الطابق الثانى »

وانبعثت عيارات نارية جديدة من جهة الرصيف تبعها طلق رشاشة سريع ، وسألت غاسلة الثياب متعجبة : « ماذا ! هـل اقترب الروس الى هذا الحـد ؟ » فهز الشيخ كتفيه وقال فى كتابة : « أتظنين ذلـك ؟ انهم يعدمون اليهود عـلى الرصيف » فتنهدت العجوز وقالت : « يا له من زمان »

وظهرت من الغد فى الصباح الباكر قاذفات القنابل فوق المدينة ومرت قريبا من السطوح تصوب نيران رشاشاتها نحو المدفع المضاد للطيران المنتصب عـلى السطح المجاور وكانت تقذف من حين لآخر قنبلة ــ كالسبة ــ بين قطيع الديار

الحالية • وجاءت الساعة العاشرة دون ان يتمكن أحد من الخروج الى الساحة لجلب المـــاء

وكان سكان السرداب المتعفن الجو قد بقوا بدون حراك على حصرهم وكانوا جياعا وكان بعض الرجال يذهبون من حين لآخر لتدخين سيقارة فى المدخل ثم يعودون بعد ربع ساعة الى جانب النار وقد صقعت أصابعهم • وفى الدهليز كان السيد (كوفاكس) بصدد نشر جذع شجرة جلب من ساحة الحرية فى ليلة هادئة على جرار البوابة ولما كان من اللازم الاقتصاد فى الوقود وفى زيت المصابيح فقد تجمع غالب السكان فى الغرفة الثانية حول مصباح واحد

وكان الشاب صاحب البدلة العسكرية قد جعل من احدى الزوايا دكان أحذية مرتجلا يصلح فيه بقدر امكانه الاحذية الممزقة وكان عامل البريد المتقاعد يرقع قميصا ممزقا للساعي وقد ركبت أنفه نظارات حديدية الاطار • وكانت الام مارى تفكر فى زوجها المرحوم وهى ما تنفك تتنفس الصعداء

وكانت احدى العجائز تذهب بين الفينة والاخرى الى سرداب الفحم لتتحقق من وجود الفرس هناك • وكانت الدابة منتصبة فى الدهليز المظلم لا ترفع رأسها حتى عند ما يمسح على رقبتها وكانت تجرى فى جلدتها الناعمة الندية أحيانا رعشة كما لو وقع عليها ذباب ولم يسمع منها طوال الصباح سوى صهيل واحد فيه طول وشكوى وفيما عدا ذلك لم تكن منها أية اشارة تنبىء بالحياة

وحوالى منتصف النهار استطاع الشيخ يانوس ان يتجه صحبة عامل المقهى الاعرج نحو ساحة الحرية وقد اصطحبا كيسا للفحم وسكين خبز طويلة مقام المنجل وكان أحد أرصفة الطريق يمكن من أمن نسبى نظرا لغياب الطائرات من الجو الذى كان ينصب منه هاطل انصباب الرصاص ولان الروس لا يرمون بمدافعهم الا ناحية (بودا) وكانت حفر مظلمة تنفتح بين أكداس الزجاج المهشم وركام البيوت المهدمة ـ وكان الماء يتدفق فى الطريق من أنبوب مثقوب وقد بلغ ارتفاعه الكعبين وكانت دمية تطفو فوق الماء القذر باسطة ذراعيها وكان المارة قليلين ومن حين لآخر يمر بجانبهما جندى يجرى مطأطىء الرأس أو ينطلق كلب هائم (بين الانقاض) مكشرا عن أنيابه • وقبل وصولهما الى ساحة الحرية ببضع خطوات أدركتهما « يولى صوفانى » وكانا بصدد اجتناب فخ نصب للدبابات وقد تردت فيه سيارة ضخمة المانية وبجانبها جثتا جنديين قد غطستا فى الوحل وسألها عامل المقهى : « لماذا تتبعيننا » فأجابت البنت بأن هزت كتفيها

فالح الشيخ يانوس قائلا : « هل ستخبريننا لماذا أنت تتبعيننا ؟ » فأجابته قائلة : « لا لشيء لكي تتما عملكما بسرعة » فقال عامل المقهى : « لسنا فى حاجة اليك ، ارجعي من حيث أقبلت » فلم تجب بل بقيت تركض الى جانبهما مطأطأة الرأس ٠ وكان قوامها النحيل يتمايل بين عصف الثلج وقد بـدت متثاقلة فى منديلها الكبير الاسود ونعليها الخشنين المثقوبين ٠ فكأنها بطلة خرافة من قصص بلاد الشمـــــال

وكانت السحب المشحونة ثلجا قد انخفضت حتى صار الطريق مظلما وعـاد المرء لا يكاد يرى الاشياء على عشر خطوات منه وسط الضباب المتصاعد من نهـر الدانوب وبعد مسافة قالت البنت : « ان السيد المستشار يريد ان يذبحه » ولم تكد تقول ذلك حتى تعثرت وكادت تسقط لو لم يمسك الشيخ يانوس بيدها ٠ وقال عامل المقهى بصوت متشامخ : « انى قد حللت بعد هذه المسألة » فحركت يولى رأسها بقوة وقالت فى حركة عصبية : « انك لم تحلل شيئا ٠ لقد تحدث فى الامر بعد خروجك ، وقال ان الفرس سوف يموت على كل حال اذ ليس هناك ما يأكله » ٠ فتوقف عامل المقهى وقال وهو يهز عصاه نحو السماء مهددا : « ان الامر ليس من شؤونه ، ولا هو يعنيه فى شىء ، ما له الآن يهتم بالبحث عما يأكله غـــــيره ؟ »

وبلغوا ساحة الحربة وهم مغرقون فى الكلام ثم شرعوا فى العمـل فاقتلعوا حزم الحشيش بحركات ليست من المهارة فى شىء مستعينين فى ذلـك بسكـين الخبز وباحدى سكاكين المطبخ اصطحبتها يولى ٠ ومن حسن الحظ ان الحشيش لم يحصد منذ أول الخريف ولذلك كان موجودا بكثرة ولكنه قد ديس فى الوحل بأقدام الجنود وعجلات المدافع التى مرت بالساحة فعاد لونه كصدا الحديد ٠ أما الباقات السالمة فقد كانت قليلة

وجثت يولى على ركبتيها وتبعها فى ذلـك الرجلان وكانت أصابعهم تصقـع بسرعة عند لمس الحشيش المبتـل والاغصان اليابسة المكسوة ثلجـا ٠ وكانت مدافع بودا تقصف على بعد ٠ لكن قنبلة يدوية انفجرت فجأة وراء ظهورهم وقد اصطدمت بحائط البنك الوطنى وأحدثت به ثقبا يتصاعد الدخان منه ٠ وقامت يولى ونظرت الحائط ثم قالت فجأة : « انى قد ضربته » ٠ فسألاها : « كيف !٠٠ مـاذا فعلت ؟ » فكررت قولها وقـد لمعت الدموع فى عينيها « انى قد ضربته » ٠ وسألاها : « ضربت من ؟ » فهمست قائلة : « ضربت السيد المستشار » فحدق فيها عامل المقهى وكأنه خشى ان تكون قد جنت ٠ ومسحت يولى بجمع يدها دمعة

تعلقت بوجنتها النائتة وكانت تستشيط غضبا وواصلت قائلة : « لو سمعتم الخالة ماري وهي تصيح ... وقد احتجت كذلك بقية النساء وكانت الخالة دانيسكا تمسك بمعطف السيد المستشار وهي ترسل صياحا أنهك أعصابي وعندها ضربت السيد المستشار ولكن ذلك لم يؤذه بدون شك فانه لم يلتفت مجرد الالتفات » . وقطع يانوس حصاده وقام بدوره وحدق في البنت يستفسرها بنظرة ثابتة من عينيه الصغيرتين وكان العامل الاعرج يكاد ان يستلقي من شدة الضحك وسألته يولي متبرمة : « لم تضحك بالله ؟ اني أعلم جيدا ان الانسان والحيوان كليهما لم يخلقا للسعادة وانما لكي يقوم كل منهما بواجبه . ولكن هذا الفرس لا يستحق الذبح » . فسألها الشيخ يانوس قائلا : « والانسان اذن ؟.. »

وكان الضباب سميكا الى حد انهم اذا ما تباعدوا بضع خطوات فصل بينهما حجاب من القطن الرمادي . وكان رجوعهم احفظ لهم خصوصا وقد مر الوقت وجاء الظلام مع الضباب . فألقى الشيخ يانوس بالكيس الممتلىء الى نصفه فوق ظهره وأمسكت يولي بيد العامل الاعرج لتساعده على السير فوق الارض المغطاة جليــــدا

وعند زاوية شارع نادور توقفوا فجأة فقد كان يسمع وقع خطى من وراء حجاب الضباب خطى منحلة متثاقلة كما لو ان صفا طويلا خفيا يكابد المشاق وسط الساحة التي تحولت الى غدير وأطل أولا شبح عون شرطة تتبعه أشباح متضائلة طافية قد اصطفت أربعا أربعا وقد انحنت تحت ثقل أعدال ضخمة أو أحاطت أيديها بأكياس عظيمة . وكانت عجوز منثنية قد أكبتها سلال سود من الجلد علقت بأيديها الطويلتين الهزيلتين . وكان رجل يدفع عربة طفل وهو يتمايل . وحمل رجلان على أكتافهما أغطية كبيرة شهباء وكأنها قطعة من الضباب وسط الضباب ، وكان الصف فيما يبدو منه يتكون في معظمه من نساء وشيوخ وأطفال صغار يحملون رزما صغيرة على ظهورهم ويركضون بين الكبار والفزع يعلو وجوههم . وكان يحيط بالصف من الجانبين رجال يرتدون الزى ويحملون على أذرعتهم شارات الصليب المعقف وبأيديهم بنادق على أهبة الرماية وتأثرت يولي صوفاني بذلك فضغطت على يد العامل وسألته هامسة في أذنه : « ماذا جرى يا سيد أندرازي ؟ » فأجابها هاتفا في تبرم : « لماذا تقرصينني ! هلا ترى أنهم يهــود ؟ »

وسألته يولي في فزع : « هم يهود ! والى أين يؤخذون ؟ » فلم تتلق جوابا ،

فتركت يد العامل وقبضت على الشيخ يانوس بكلتا يديهـا ووقفت عـلى أطراف أصابعها كي تقترب من أذن الشيخ وكررت قائلة : « الى أين يؤخذون ؟ » فأجابها الشيخ فى شىء من الغضب قائلا : « وهـل أعلم أنا ذلـك ؟ ثـم كفى عن هـز ذراعى ، أسمعت ؟ »

وكانت أمواج الضباب تتخلل الصف اللا متناهى الى حد أنهـا كانت تعـزل أحيانا بعـض الجزئيات عن البقيـة فتبدو فجـأة أكبر من حجمـها الطبيعى • وتجاوزتهم امرأة بيضاء الشعر تجر قدميها • وكانت الريح قد أوقفت شعرهـا الطويل الذى كان فى لون القصدير فصار كالخوذة من فوق حدبة ظهرها وكانت أعظم منها كلها • وخرجت من حجاب الضباب يد طويلة هزيلة وقد زاد فى طولها عصا أمسكتها ـ وكأنها منها ـ غاب آخرها بين البخار المتموج • وكنت ترى أحيانا رؤوسا بدون أجساد ، أو أقداما بدون أرجل تظهر من خلال الزوبعة ثم ما تلبث ان ترجع اليها • وكان يرى أثناء الفتحات القليلة بعض الديار تلتهمها النـيران فى الجانب الآخر من الطريق • ويضىء لهيبها الامواج البشرية التى تزحف أمامها بأضواء حمراء داكنة • وكانت أعمدة السقوف تتكسر فى دوى جاف تجيبه طلقات مسدس ، كالصدى ، فى آخر الصف • ثم ظهرت امرأة أخرى طويلة هزيلة تجر خلفها طفلا يتعثر • وهمهمت قائلة للشيخ يانوس تنظر اليه بوجه انقطع الـدم منه وفى صوتها بحة شديدة : « أنقذوا ابنى ! » وتحول الشيخ عنها بوجهه ثم صاح بيولى وجذبها بسرعة اليه ـ وقد كانت تقدمت خطوة ـ ثم قال لها : « لو شاهدوك تفعلين ذلك لادخلوك أنت أيضا الصف » • وتمزق الضباب بضع ثوان أمام المـرأة وارتسم وجهها الملتفت نحوهم فى حدة سؤال القس عند الاعتراف وفى وضوحه • ونظرت البنت الى السماء فـرأت ملـك الموت فوق رأس المرأة يطفو وسط شرر المنـزل المحترق ، ومعه سيفه العظيم الـذى كسا ظله وجـه المرأة • وكان الرجل ذو الصليب المعقف الراكض وراءها له رأس ضبع ، وكان ينبعث من فمه نفس نتن محمل بالدماء فينزل على الطريق المكسو ثلجـا • ومن الجانب المقابل ارتفع رجل آخر ذو صليب معقف فى الفضاء وضرب بمنقاره وهو يصيح كالبومة وجه شيخ كث اللحية • وكان آخر له أيد أربع يضرب بكل منها • وكان عويل الضحايا يتصاعد من وراء حجـاب الضباب • ثم انطلقت عيـارات مسدس تبعتها صيحـات جنونية • وتركت يولى فجـأة يد الشيخ يانوس ثـم أمسكت ازارها بكلتا يديها وركضت نحو رجل ذى صليب معقف كان يمشى الى جانب الصف فسألته بصوت واضح يرن شجـاعة : « الى أين يؤخذ هـؤلاء يـا

سيدى ؟ » وفى نفس اللحظة هوى عمود من المنزل المحترق وسط دوى كبير وسقط فى بحر الضباب القطنى ٠

وهددها الرجل قائلا : « اذهبى الى الشيطان ! والا ٠٠٠ » فضمت يولى يديها مستعطفة وقد بلل الدمع وجهها الذى كان يرنو الى الصليب المعقف وقالت : « انى أهيب بك يا سيدى ان تطلقهم ٠ وواصل الجندى طريقه صامتا وقد بعدت الدار الملتهبة وراءهم وغاب الشيخ يانوس وعامل المقهى الاعرج فى الضباب ٠ لكن يولى لم تكن تهتم بذلك بل كانت تواصل ركضها المتعثر وراء الرجل ، وكلما أدركته ضمت يديها مسترحمه ـ الى ان قبض أحدهم على رقبتها وطوح بها فى الهواء ثم ناولها ضربة بجزمته الثقيلة دفعت رأسها فى الوحل

ولما عادت يولى الى الملجا كان النساء يتأهبن للعشاء ٠ وقد تدفق على طاولة اللاعبين نور سحرى وذلك ان جماعة السكان قد منعوا اللاعبين من الاستئثار بالمصباح الوحيد ٠ فما كان من السيد كوفاكس ان أهداهم شمعة كبيرة وردية اللون وملتوية الشكل أخذها من ذخائره الخاصة كى يضىء المقابلة الليلية التى صارت عادة من عاداتهم ٠ ووقفت يولى الى جانب الطاولة مدفوعة بغريزتها ثم انحنت واستنشقت رائحة الشمعة الطويلة الوردية اللون الموحية بحفلات ميلاد المسيح الخاشعة وبقيت هناك حصة وهى تتشمم وكأنها فى حلم ثم مسحت أنفها بيدها وهرعت الى الغرفة الداخلية حيث جلست على كرسى صغير

وكانت النساء مرحات وكان الضحك الداوى ينطلق تحت السقف المنخفض ٠ وتوقف طلق المدافع تقريبا منذ الزوال وقد عطله الضباب ، وعدلت الطائرات عن التحليق فوق المدينة ٠ ولذا كان بامكان كل من حدثته نفسه ان يتفسح فى الساحة أو يصعد الى الطوابق العليا كى يكنس بيته أو يغسل وجهه أو ثيابه ، حتى ان بعض النساء صنعت خبزة بيضاء صغيرة مستديرة اتخذتها من بقية دقيق ٠ ثم عاد الناس الى الملجا مرتاحى البال راجين ان يكون الحصار قد أشرف على نهايته ٠ وأكد البواب ـ وقد كان تلقى زيارة فى ذلك المساء ـ قائلا : « يقال ان الروس قد تقهقروا عن (بودا) فقال الساعى الشيخ وهو يهز رأسه : من يدرى ٠٠٠ » ٠

وقالت امرأة كانت قد زارت ملجا المنزل المقابل فى سرعة : « أما فى (بيست) فانهم قد دخلوا الاحواز بعد ٠ فانى قد تحادثت فى ذلك منذ قليل مع (زابو) الابن وهو يعمل فى قسم المخابرات »

وتنهدت الام ماري وقالت : « آه لو ينتهي كل هذا ! » ولم تكن للنساء رغبة في التعرف على كيفية انتهاء هذه الامور • فقد منحهن الفقر والسن من الحكمة ما يدعوهن الى عدم التوغل في الجزئيات • فكن يكتفين بأمل عجيب خفيف كالفراشة في أنهن ربما بقين بقيد الحياة بعد هذا كله • وعندها يتمكن من الرجوع الى دور أغنياء الحي يغسلن الثياب ويخدمن أهلها • وكانت الارملة دانيسكا أشدهن مغالاة اذ كانت تود ان ترى ابنتها قبل ان تموت • ولكن ابنتها كانت متزوجة في (ترانسيلفانيا) • ومن يدرى هـل هي ما زالت بقيد الحيـاة ! وكانت دانيسكا تقول للام ماري : « أما فيما يخصك فالامر سهل • فانك لو هلكت ما بكاك في هذه الدنيا أحد » • فتسألها الام ماري وهي تضحك في هدوء بكـل تجاعيـد وجهها : « حتى أنت لا تبكينني يا سيدة دانيسكا ؟ »

وكان الضباب الثقيل يدخل من الساحة حتى يبلغ مدخل السرداب • وكلما فتح الباب تسللت قطعة بيضاء كجناح حمامة داخل الملجا ورسمت في الفضاء لغز تلك الليلة الملأى بالاخطار • ولكن حرارة أخوية ودفئا عائليا مطمئنا كانـا يسودان داخل السرداب حتى ان ولد البوابين الصغير قد هدأ ــ وكان من عادته البكاء باستمرار ــ بينما ملأ سائـر الاولاد بضحكهم وجلبتهم السكون الثقيـل الذى كان يخيم على السرداب وسألت البوابة قائلة : « من رأى يولى ؟ أين ذهبت هذه المرة أيضا ؟ » وأجابتها امرأة : « انى شاهدتها عند الزوال تخرج من الباب الكبير • ولم أرها بعد ذلـك » وأضافت امرأة أخرى مؤكدة ان يـولى قد تبعت الشيخ يانوس • ولكن الشيخ قد رجع منذ زمن طويل • وقالت أخرى : « ربما أصابهـا مكروه ••• » فأجابت البـوابة قائلة في لهجـة خطابة : « الاعشـاب الطفيلية مطردة النمو » • ثم ختمت تصريحها بعطسة •

وكانت يولى رابضة في زاويتها ساكنة منطوية ، وقد جلست القرفصا وهي صامتة كالبطيخة بين الاعشاب • وكان عامل البريد المتقاعد قد نصب سريـرا مرتفعا يخفيها عن الابصار تماما • ولكنهـا اكتشفت آخر الامر • وكانت الام ماري هي التي لمحتها فشع منظار زوجها المرحوم ببريق جاف • وقالت بصوت منخفض حتى لا تجلب الانظار الى وجود الفتاة : « هل سئمت هذا المكان ؟ تعالى معى وساعدنى على حمل الماء » وتمسكت يولى بالصمت قليلا ثم قالت آخر الامر: « لا » • وظنت العجوز أنها أساءت الفهم ، فكررت قولها : « هيا ساعدينى عـلى حمل الماء » • فرفعت يولى رأسها وقالت في تحد : « انى لن أساعد ! » فحملقت فيها الام ماري وهي لا تكاد تصدق ثم هزت كتفيها وأدبرت عنها

وكان أهل السرداب يستسلمون الواحد بعد الآخر الى سكون الليل • ولمـا انتهى عامل المقهى الاعرج من العطاس وانطفأ السراج تسللت يولى الى خـارج

لللجا على أطراف قدميها وأغلقت وراءها الباب الخشبى الكبير فى حذر واتجهت نحو سراديب الفحم · وكان الدهليز غارقا فى الظلام ، ولكن نفس الفرس الدافىء كان يقودها · وعند ما شعر الفرس بقربها أرسل حمحمة ضعيفة · فهتفت به : « أسكت ! » ووضعت يديها على منخرى الفرس الحارين الناعمين كالحمل · ثم مسحت رقبته لتهدئه وقالت له وكأنها تستعطفه : « أسكت ! »

وجلست أمام الدابة فوق شيء قليل من التبن وأسندت ظهرها الى الجدار وضمت على صدرها منديلها الاسود المتخذ من الصوف المكتل

وكان الفجر قد بزغ ودخل من منفسة الساحة نور رصاصى اللون اذ ظهر المستشار (بيكنيتسكى) داخل الدهليز وبيده مصباح صغير · وكان يقصد المرحاض · عندئذ قفزت يولى بدون ان تحدث صوتا وركضت نحوه وطعنته فى صميم قلبه بسكين المطبخ الذى كانت اصطحبته الى ساحة الحرية ، وقد كانت أخرجته منذ لحظة من تحت منديلها

وفى الخارج كان النور يزحف · وقضت يولى كامل اليوم هائمة على وجهها فى الطرقات · محتمية أثناء الغارات الجوية القليلة بأقواس الابواب الكبيرة التى تعترضها · ولما جن الليل التجأت الى بيت طباخة عجوز من قريتها كانت صديقة لامها أيام صباها

لقد كانت متمددة على خشبة تحت غطاء الطباخة · وكانت ترى نفسها جالسة فوق غمامة وردية اللون سابحة فى الفضاء · وكان الفرس بجانبها · وكان ينش بذيله الذباب السماوى الوردى كسائر الاشياء ، وقد رفع رأسه فى اباء وشموخ · ومر السحاب مسرعا فوق (بودابيست) وحلق فوق منعرجات نهر (الدانوب) الفضية وتوقف قليلا فوق جبل (جلرت) · وعوض ان يحدث ظلا كان يشع بنور وردى لامع يرسله فى الطرقات وعلى سطوح المنازل الحادة الاطراف · واتكأت يولى فى رفاهة على رغوة وردية من الغمام وشبكت يديها من فوق بطنها · وكان السحاب من العلو بحيث ترى نصف البلاد · وكان الفرس تحت نور السحابة · وحركت يولى رجليها من فوق جبل (جلرت) وقالت فى تواضع : « انى عملت قدر جهدى · ولولا ذاك لاقحموك أنت أيضا فى الصفوف · أليس كذلك ؟ » فأجاب الحصان محمحما

ثم انطلقت السحابة من جديد ومرت فوق (كوبانياكس) · ولما عادت يولى الى خشبتها كان النهار قد طلع · فربطت منديلها حول رأسها وصعدت السلم وهى تجرى · وعند الباب ناداها جندى قائلا لها : « أين تجرين هكذا يا آنسة ؟ » فأجابته بسرعة : « انى ذاهبة الى أمى » · وانطلقت كالسهم فى الطريق المقفر فى ذلك الصباح الباكر · وتوقفت تتنفس قليلا فى منعرج الطريق والتفتت الى الوراء بأنفها الافطس المحمر من كثرة الدموع ثم توغلت فى شارع معترض ولم يرها منذ ذلك الحين أحد أبدا ·

قوارير عامر

قصة بقلم الجنيدي خليفة

طيلة عام من الجوار لم يكن يعود الى النزل قبل منتصف الليل ، وبمجرد ان يلج غرفته بالطابق الاعلى تنقطع كل إشارة تدل على كائن ما بها

وعلى خلاف ذلك كان الكثير من بقية السكان المكونين من العمال البسطاء والمستخدمين الوقتيين واللاجئين وأنواع عديدة من المنكوبين يتجمعون ليلا حول القهرمان فى السقيفة المعدة لاستقبال الزبائن حيث يطبخون الشاى ويعلقون على حوادث الساعة والنزلاء الجدد ٠٠٠ ثم ينخرطون أحيانا فى نوبات غنائية يؤدونها بصوت يمزق الاكباد حنينا الى الوطن ٠٠٠ وكثيرا ما كانوا يوجهون الى القدر لوما مرا قاسيا ٠٠٠ واذ يفرغون من كل ذلك وقد تأخر الليل ينصرفون كل الى حجرته وهو يقول لصاحبه : لا بد يا أخى لا بد !٠٠

وكان القهرمان المسمى العروسى ذا نفوذ يكاد يكون مطلقا على جميع السكان وخصوصا متعودى السهر حوله ، فهو بالاضافة الى معرفته لكثير من أخبارهم الخاصة الحاصلة له من جراء مهنته كمشرف على النزل يتمتع بسلطة المعاقبات الاقتصادية كما يسمونها

— يا سى العرنوس لماذا لا يترك عامر كمثلنا جميعا مفتاحه باللوح ؟

وما ان فاه بذلك أحد السمار حتى أيده آخرون بصوت واحد :

— اى وربى لماذا ؟

واذ ذاك أجابهم القهرمان بحدة :

— لكيلا يضطر كل مرة الى رؤته وجوهكم الكالحة !

فعقب السائل الاول : ليأخذه الشيطان !

وبدت على العرنوس حركات انفعال خشى الجميع من أن تكون انذارا بمطالبتهم بديون الكراء ٠ وحل الصمت برهة ، واذا أشعل أحدهم سيقارة وقدمها له ضغط راحتيه بعضهما بعضا وأنشأ يقول مديرا وجهه بين السامرين :

— لايعرف الرجال غير الرجال ٠ صدق القائل ، وهل تحب أنت يا وجه العجوز ان ينبزك أحد فى غيابك ؟ أنا لا أسمع بأى عبارة ضد عامر ٠ تعرفون جيدا انى أشرف على هذا المنزل منذ عشر سنوات ، لقد رأيت ألوف « المناظر » وحتى أولئك الذين يحلون بالخريف محملين بصناديق الدقلة الى ٠٠٠ لم أقدر شخصا منهم قط ولا أحببته مثل عامر ٠ ولو مكث ها هنا دون ان يدفع الى مليما واحدا قرنا كاملا ما كنت لاطالبه ٠٠٠

منذ تلك الليلة لم يعد المتسامرون الى الحديث عن عامر ، واذا صادف ان سمروا أكثر من المعتاد وعاد عامر مارا بالسقيفة حيث الباب المؤدى الى المدرج فانهم كانوا يردون على تحيته بحرارة بالغة ويسودهم صمت ثم ينصرفون قائلين بنبرة المؤمن يزداد ثقة بالوعد المقطوع : أجل لا بد ! لا بد يا اخوان ...

وعرتنى على مر الايام رغبة ملحة فى التعرف الى عامر ، كنت أجد ضيقا شديدا من هذه الجدران التى تحول دوننا ، ضيقا ينطوى على شعور بذنب تعيشه أعماقى ولا يتفهمه عقلى ، ربما كان الحب أقرب نعت له ، غير انى لا أشعر بأنه يعنينى وحدى ولا هو موجه اليه وحده ، وكان الحرمان منه يحاصرنى ويجعلنى أشعر بثقل جسدى .. بثقل جزء مبتور الا وصلة تكاد ان تنقصف ، وكثيرا ما تعقبته فى الطرق وانتظرت قدومه بالمنزل فكان يختفى بمجرد ان يبدو ، وحدثتنى نفسى أن أطرق بابه رغم انطفاء النور ولكنى فى كل مرة أحاول ذلك كنت أنتهى الى شعور حاد بصلابة الجدران ...

وعند ما رأيت غرفته مضاءة هذه الليلة وجدتنى ملتصقا ببابه ، ومع أنه لو رآنى أحد على هذه الحالة لكان جريرا أن يصمنى بالنذالة فأنه لم تخطر ببالى فظاعة كالتى يعقبها ارتحاله دون ان أكون قد تبادلت واياه النظر وتصافحت يمنانا

واذ طرقت الباب سمعت الاذن بالدخول ، وكانت رنة الصوت مدفونة ، مبهمة ، فى وهن وقوة معا ، الآن يمكن لخيالى ان يقارنها بصوت نبىء ينبعث من جب عميق ، مكتوفا ، مغدورا به ولكن دون ان يستغيث

وانفتح الباب وسلمت ، فرد على بعبارة لم أحفظها لما أخذت به من منظر بضع قوارير مختلفة الشكل والحجم ، كانت مصففة على قطعة من القماش الملون على منضدة واسعة ، وكانت كل قارورة ممسوكة اليها بكيفية ما مجموعة من الاوراق

وقدم لى الكرسى الوحيد بالحجرة ليأخذ هو مكانه على السرير تتوسطنا المنضدة ...

بينما بدت الى يمينى خزانة مفتوحة مكتظة بالكتب ، وبالمشذب المعلق بجانبها الخارجى تتدلى عمامة ناصعة البياض وقطعتان أو ثلاث من الملابس ...

كان أسمر فى لون ظل الزجاج ، وعلى جبهته العالية تتماوج تجاعيد خيل الى أنها أثر من غضب وراثى يريد ان يطفئه بحبات العرق المشعة فيها

– لقد زرتك يا سيدى دون سابق اتعاد ، فقط لـ ...

فقاطعنى قائلا : بلى يا أخى لقد كنا على ميعاد ولكن أو انه لما يحضر بعد ، والتلاقى يغذى ذكراه فينا

والتفت الى السماء من النافذة المشرعة على يمينه ، وبينما هو شارد ببصره في النجوم المتلألئة أخذت أتأمل جانبيا فى عينيه المحاطتين بمثل الخاتم الاخضر وفجأة أردف : وسيحل الموعد يا أخى سيحل

وأردت أن أفوه بكلمة ما ، تعبر عن تواجدى معه قبل أن يستأنف مبتسماً :

ـ ولكن أو لم يخطر ببالك أنى عزام ؟ لا شك أنك واجد منظرا غير مألـوف بهذه القوارير ، والواقع انى لا أختلف كثيرا عن العزامين ، فقط هم الى استدعاء أرواح أجنبية أما أنا فانى الى استدعاء روحى ذاتها متوسلا بهذه القوارير

وأخذت ملامح وجهه تتشكل بطابع الحـزن الهادىء وعادت الى صوتـه رنته الاولى وهو يتابع :

مرت بى يـا أخى فترة عصيبة ، مزقت فيهـا شر ممزق ، خربت ذاكـرتى ، وأتلفت تذكارات عديدة كنت أحفظها لاقـاربى وأهم الحوادث عندى ، ورأيتنى أتثاكل رويدا رويدا فكدت أصبح رمادا لولا جذوة بذلت آخر قدرتى فى الحفاظ عليها ٠٠٠ وعند ما انتهت هذه الفترة العصيبة خطر لى ان أعمل على التأليف بين فترتين من حياتى ، واليـوم فقط تمكنت من الحصول على القوارير ، وهـا انى أقضى قبل فتح أولاها ساعات كنت أسائل فيها نفسى عما عسى ان تكون القيمة الحقيقية للفترة العصيبة ، ولكن أولا يجدر ان أبينها لك ما دمت أحدثك عنها ، ربمـا يقتضى العرف ذلك غير انى أحب ألا أفعل ، ربما لأن بيانها قـد يضفى عليها هالة ، أنا فى شك من انى عشت فى نورها ، وربما لم يكن ذلك يا سيدى الا بدافع من أنانيتى ومكرى فأحدثك عن مضمونها دون ان أسميها لكى ألقى فى روعك انى متواضع ٠ أجل ان المغفلين هم المتكبرون المدارون ٠ ولك ان تثق يا أخى انى فقدتها كل الفقد هذه الحاسة التى كنت ألتذ بها ثناء الناس ٠ هل لـم أسقط قيمة الثناء الا لانى اكتشفت زيفه ورأيت أنه لا محالة منكشف فأنا لـم أعد أقنع به وانما أصبحت أبحث عن تحصيل ما هو حقيقى وخالد ، أى ثناء لا يفتضـح ؟

عند ما كنت أحدث نفسى قبل أن تطرق الباب فى تلك الفترة التى أصر على اغفال اسمها أخذت أتضاءل أمام نفسى كلما بـدا لى أوضح فأوضح أنها ليست مما يشرف حتما صاحبها ، لم تكن يا سيدى عاقبة جريمة ما ، بل بالعكس لـم تكن غير نتيجة محتملة لسلوك نبيل وفاضل حتى بذلك المقياس المثالى ، ها أنت تستغرب ! ولكن الشرف الذى نقف عن بله بعرقنا الحار يكفى عن أن يكون منا مشعا وان أشع علينا ، وفى الفترة العصيبة قد وجدتنى بعد قليل أضخـم من

حقيقى ... وما هى الا مدة تبخرت فيها نشوة الانانية حتى بدأت أشعر شعورا حادا بالتجوف الهائل بين ما أنا فى نفسى وبين رأى الناس فى . ومن ذلك الحين وأنا أجاهد ، صدقنى أنه جهاد عنيف جدا ومريع ، ولقد سنحت لى أثناء الفترة وبعدها فرص شتى كلها جديرة بأن تجعلنى لا أتصور العنت الذى لاقيته الآن . لقد كان فى امكانى يا سيدى ان أصل بدون مشقة الى حيث تنفذ جميع رغابى بضغطة زر ... وكانت عينى تقع كل يوم على هؤلاء الذين يسمنون بسرعة فيزداد مقاس بدلاتهم شهريا ، ولكن يا للفظاعة !

وأنا لانانيتى العظيمة لم أحب أن أنعم على العرق الجاف . كلا . صدقنى يا أخى أخى أنى لا أحسدهم لانى أبحث على الشرف بل لانى لا أرى فى نعيمهم المزرى ما يثيره ، وانما أحتقرهم مستغربا أحوالهم وآسفا على نفوسهم . وما اخالهم بدورهم الا مستغربين من مثلى ، ولكنه استغراب مثقل بالشحم

لا ! أبدا لا أستحق الرثاء ، انى قوى الى حد الاهى ، ذلك ان قوتى لتقوم باعتبار آخر لو كان لهم أن يهضوه لتهاووا.. تصور طالبين أحدهما ينجح بالغش والآخر عرقله استاذه عن النجاح رغم استحقاقه ، وعند ما نكون أصلاء مع نفوسنا نكون أقوى من أى كان قد خانها ، بالاصالة نعيش وجودنا الاخصب وليس فى الخيانة الا العدم ...

أرانى يا سيدى قد أثقلت عليك بهذا الحديث فاسمح لى مؤقتا أن أقول ان أنانيتك هى التى تبرمت به فقد رأيت انى أعرق منك فيها ، فلعلها قد اصطدمت بأنانيتى ، ولكن ما عسى أن أقول اذا كان التواضع أنانية والصراحة وكل ما تعارف عليه الناس عائدا بالتالى اليها ، نماذج من أنواعها العريقة !

وابتسم وربت على كتفى مسترق النظر الى ساعته اليدوية ، ولكنى لم أشأ أن أنصرف وكلى فضول الى القوارير فقلت : ولكن القوارير ما هو سرها ؟

فقهقه بصوت طفل ينجح فى خدعة ثم أخذ يرج احداها ويتشممها مغلقة ثم سحب لفة الورقات الممسكة اليها متصفحا وقال :

– هل نسيت ان أخبرك ان هذه القوارير تقوم مقام الذكريات فى فترتى العصيبة ؟ فعند ما انتهت هذه سعيت الى جمع أنواع العطر التى كنت استعملها عقب الحلاقة ... ولم أجد صعوبة فى معرفة أنواعها وتاريخ استعمالى اياها ، فقد وجدت كل ذلك فى الكشف الذى قدمه الى مزودى بمجرد ان سلمت عليه مباشرة ، واليوم دفعت دينه على وابتعت هذه ، وسأعيش أجزاء معينة من الفترات العصيبة بحياتى الراهنة كلما شممت قارورة معينة ... وأضيف خواطرى الجديدة الى هذه اللفات

وابتسم مرة أخرى وهو يشايعنى الى الباب وودعنى قائلا الى اللقاء .

القصة في الشريط السينمائي

بقلم مصطفى الفارسي

الشريط السينمائي نتيجة عمل جماعي واسم النطاق ووليد جهود متظافرة متعددة وهو في آن واحد يقوم على مبدإ توزيع المجهود والاختصاص في العمل ، لان صناعة السينما في الحقيقة مجموعة من الصناعات تعمل كل واحدة منها على حدة ولا يربطها الا الهدف الذي ترمي اليه جميعها وهو انتاج شريط من الصور المتحركة طوله الف ومائتان من الامتار ومدة عرضه ساعة ونصف ساعة .

والشريط في نظر جل الناس في بلادنا مجموعة صور متحركة تربطها قصة وتقوم القصة على حوار ويجري الحوار بين ممثلين منهم المشهور ومنهم المغمور . والشريط السينمائي في نظر جل الناس ايضا وسيلة لنسيان « هموم الدنيا » ومشاكل الحياة اليومية اي هو بمثابة الحصن المنيع الذي يلوذ به الانسان من نفسه ومن غيره طلبا للراحة والاستجمام .

فبعض رواد قاعات السينما يكتفي بهذه النظرة السطحية ويشاهد شريطا او شريطين او اكثر في الاسبوع مدفوعا في ذلك بدافع طلب النسيان او دافع الالتهاء او غيرها من الاسباب الطبيعية التي تقود الانسان الى بهو قاعة السينما لاقتناء تذكرة تخول له في مقابل مائتين او ثلاثمائة مليم ان « ينسى نفسه » في قاعة مظلمة ويتلهى عن مشاكله بتلك الصور المتحركة الناطقة التي تحيا امام عينيه فوق الشاشة .

فهل يعرف الذين يتوافدون على قاعات السينما ويتزاحمون امام ابوابها ان الشريط الذي سيقدم اليهم هو نتيجة عمل شاق يومي قام به اكثر من مائة رجل ستة اشهر متوالية ؟ كثيرا ما يجهل الناس قصة الشريط السينمائي واطواره وحكاية خلقه .

فما هي قصة الشريط السينمائي وما بداية هذه القصة ؟

يمر الشريط قبل ان يعرض في قاعات السينما على مراحل ثلاث . المرحلة

الاولى هي مرحلة الانتاج ثم تتبعها مرحلة «التوزيع» واخيرا مرحلة الاستهلاك او الاستغلال ويقتصر موضوعنا في هذا البحث على قسم من مرحلة « الانتاج » وهو الخاص بالموضوع او القصة او بماجرت العادة في كل اللغات ان تسميه «السيناريو»

❀ ❀ ❀

« الشريط السينمائي عبارة عن قصة يستعان في روايتها بالصور المتحركة الناطقة » هذا هو التعريف البسيط للشريط السينمائي. والسيناريو هو موضوع القصة وشبكتها وكل ما يطرأ عليها من حقيقة وخيال في نطاق محدود هو نطاق جهاز التقاط الصور المعروف « بالكامرا » .

والسيناريو يعد خصيصا لاخراج شريط سينمائي او يقتبس من انتاج ادبي معروف ليصبح شريطا سينمائيا ، فمن الصنف الاول كل الافلام المبتكرة وهي كثيرة لا مجال هنا لتعدادها ، اما الصنف الثاني فقليلا ما تبرز فيه الافلام وينجح فيه المخرجون لكن يمكن ان نعتبر من بين الاشرطة الناجحة من هذا الصنف « البؤساء » للشاعر الفرنسي الكبير « فكتور هيقو » وكل الافلام المقتبسة من كتب «كولات» مثل « شيري » وخاصة « القمح الناشيء » وغيرهما و « الوسادة الخالية» لاحسان عبد القدوس و« زينب » للدكتور محمد حسين هيكل و« ظهور الاسلام » عن كتاب « الوعد الحق » لطه حسين وغيرها من الافلام المعروفة المشهورة

وقد يقضي كاتب السيناريو سنة كاملة في اعداد قصته وتحديد موضوعها وكثيرا ما يستعين في هذا العمل الطويل بخبرة اصحاب مهنة السينما وخاصة بالمخرج الذي تروق له الفكرة فيعتزم المشاركة في انتاجها للسينما .

ويمر السيناريو نفسه بمراحل اولها مرحلة « السينوبسيس » وهو ملخص الفكرة في خمسة عشر صفحة على الاقل وعشرين صفحة على اكثر تقدير ، وهذا الملخص هو الذي يعرض على المنتج الممول لينظر فيه ويقدر قيمته في وقت قصير ثم يرفض او يلبي دعوة المؤلف لانتاج شريطه حول تلك الفكرة، فاذا قبل المنتج مبدا تمويل اخراج الشريط يرجع الملخص الى صاحبه ويطلب منه التوسع في الفكرة وتحرير الموضوع في خمسين صفحة وعلى المؤلف في هذا الطور ان يعتني بابراز العقدة في قصته ، ثم ياتي طور آخر هو طور التقسيم اي تقسيم الرواية

الى فصول ومشاهد كما نلاحظ ذلك في الروايات التمثيلية ، وينكب المؤلف على موضوعه ينحته نحتا فيبرز العقدة ويبين شخصية كل ممثل ويخلق الجو الملائم لكل فصل وكل مشهد ويشير الى المناظر التي تجرى حوادث القصة بين ارجائها كل ذلك في وضوح تام وبكل تدقيق وتحديد وتصبح الفكرة بعد هذا الطور رواية متسلسلة لا ينقصها الا التعبير التصويري السينمائي الذي سيجعل من تلك الرواية شريطا سينمائيا يتميزعن الرواية التمثيلية المسرحية وعن التاليف القصصي وعن القصة الروائية الاذاعية . . . لان التعبير السينمائي فن قائم بذاته لا يشبه التعبير المسرحي او الاذاعي او القصصي الا في بعض المظاهر الثانوية التي لا مجال للتعرض اليها في هذا البحث .

وفي هذا الطور الاخير الذي يمر به السيناريو يهتم المؤلف اهتماما كبيرا بطبع قصته بطابع الخيال التصويري فيتحتم عليه في هذه المرحلة ان يتخيل قصته كما لو كانت تعرض امام عينيه على شاشة قاعة السينما . ثم يقدم القصة في صورتها النهائية الى المخرج الذي يضبط مشاهدها وفصولها ويقطع تسلسلها الاول ليخرج من خياله تسلسلا آخر يعتمد على لغة الصور الخاصة وعلى الاضواء وعلى المناظر وعلى حركات الكاميرا وعلى شخصية الممثلين الذين سيختارهم للقيام بادوار الرواية السينمائية . هذه هي المراحل التي يمر بها السيناريو او موضوع قصة الشريط السينمائي مراحل تقوده حتما للخضوع الى الخيال التصويري والى القواعد الفنية التي تهيمن على المهمنة هيمنة مطلقة لا مفر منها لا للمؤلف ولا للمخرج .

فمؤلف السيناريو لا يحرر موضوع قصته بل « يشاهد » ذلك الموضوع، فهو ينظر الى قصته بعين خياله من خلال الصور التي ستتحرك على الشاشة عندما يقدم الشريط الى قاعات السينما للاستغلال . وهذا امر طبيعي لان كل شريط سينمائي يهدف الى الهاء جمهور كامل والى الاستيلاء على مشاعر ذلك الجمهور واختطاف انتباهه مدة ساعة ونصف وليس هذا بالامر اليسير بل هي مكشلة تحتم على كل مؤلف للسينما ان يعتبر كل الاعتبار العوامل النفسية التي يجب ان تحدثها القصة في صدر كل فرد من ذلك الجمهور ، وليس تأثر الفرد بقصة يقرأها في كتاب مفتوح كتأثره امام نفس القصة وهو في رفقة وفي قاعة مظلمة والقصة حية على الشاشة تمر حوادثها امام عينيه .

فالتاليف السينمائي يتطلب من صاحبه الى جانب خياله القصصي ومهارته في التعبير خيالا من نوع آخر وهو الخيال التصويري ومهارة اخرى هي التي تمكنه من التقرب الى الجمهور بالمامه بنفسيته الخاصة ، شانه في ذلك شان الخطيب الذي يستطيع ان يرغم الجماهير على الانصات اليه ولو طالت خطبته لان الهدف الوحيد للشريط السنمائي في الحقيقة هو الاستهواء واستمالة قلوب الجمهور . ومؤلف القصة السينمائية ومخرجها وواضع موسيقاها ومصور مناظرها ومهندس الاضواء التي تخلق الجو الملائم لحوادثها . . كل هؤلاء يجمعون جهودهم ويوحدونها لخلق الشريط السينمائي في مرحلة انتاجه

❀ ❀ ❀

لكن ما دور صاحب الحوار في كل هذا ؟ وهل يتحتم ان يكون مؤلف القصة السينمائية هو نفسه واضع حوارها ؟

الحوار في القصة السينمائية لا يلعب دورا هاما ولا يحتل المكانة التي يحتلها الحوار المسرحي ، وهذا امر طبيعي لا غرابة فيه لان الحوار وسيلة للتعبير ووسيلة التعبير في الشريط السينمائي هي الصورة قبل كل شيء سواها ، ولقد نجحت الكثير من الاشرطة السينمائية نجاحا شاملا في جميع اقطار الدنيا رغم قلة الحوار فيها وعدم الحوار تماما في بعضها واذكر من هذه الافلام شريط « سكون البحر » وشريط « عطلة مسيو هيلو » ففي الاول ضابط الماني يقيم في بيت ريفي يسكنه عجوز فرنسي وابنته ، ويحاول الضابط ان يتجاذب اطراف الحديث مع صاحب البيت او مع ابنته فلا يلاقي منهما الا الجفاء والنفرة والصمت ، فيتكلم وحده طويلا يخاطبهما فلا يجيبان ويقص عليهما كل ما يجول بخاطره في كل ليلة ثم ينهي حديثه دائما بجملة معينة يقولها قبل ان يلتحق بغرفته « اقضيا ليلة سعيدة » وفي الشريط الثاني يعتمد « جاك تاتي » الممثل المشهور لا على الكلام بل على الحركة فياتي الحوار عرضا في اغلب الاوقات . ويجب الا ننسى من بين افلام هذا الصنف كل الاشرطة الصامتة التي انتجت قبل اكتشاف السينما الناطقة وخاصة افلام « شارلو » الشخصية التي طغت على الجماهير في جميع انحاء العالم والتي يخيرها الكثير من النقاد السينمائيين على افلام « شارلي » الناطقة .

فالحوار اذن في القصة السينمائية قشر لا لباب والنظارة لا يهمهم ما يفوه به الممثل اكثر مما يهمهم دوره في القصة وحركاته على الشاشة فهم يشاهدون القصة التي ترويها الصور امامهم ولا يستمعون الى راو او مذيع من خلال جهاز راديو ، فالكلام يحدد طبعا شخصية كل ممثل على الشاشة ولكنه لا يخلق جو القصة ولا

يمت الى العقدة السينمائية في شيء مما يقوله الممثل يأتي في الحقيقة تكملة لما يقوم به من الحركات وما يبدو على وجهه من ملامح تنطق بحاله قبل أن تفتح شفتاه عن الكلام .

لذلك يجب على واضع الحوار ان يتقيد بجو الشريط وان يخضع للمخرج خاصة الخضوع التام ، لان المخرج هو في الحقيقة خالق ذلك الجو . وعلى واضع الحوار ايضا ان يقرا حسابا لنفسية كل ممثل اذا عين ادوارهم مؤلف القصة في السيناريو فشخصية «جان قابان» مثلا شخصية فريدة لا في حركاتها فحسب بل في اللغة التي يستعملها « جان قابان » في كل افلامه وهي لغة خاصة به اذا فقدها فقد روحه وفقد كل ما يميزه عن غيره من الممثلين .

فواضع الحوار اذن شخص مقيد بالكثير من الاعتبارات فهو لا يخلق القصة بجواره ولكنه يساير هوى مؤلف القصة ومخرجها ويخضع للجو الذي يريد المخرج ان يصبغه على تلك القصة في انتاج شريطه فهو كغيره من أعضاد المخرج يقوم بمجهود فردى لكنه لا ينسى الغاية وهي انتاج عمل جماعي تحت اشراف مخرج الشريط .

تحدثنا عن السيناريو وعن الحوار اي عن مادة الكلام في الشريط الطويل لكن يجب قبل ان نختم هذا البحث ان نعرج على صنف آخر من الافلام وهو الشريط القصير او « الدوكيمانتار » (باللغة الفرنسية) فهذا الشريط ايضا مزيج من صور وكلام والكلام فيه اما مسترسل واما حوار ، لكن الفرق بين الشريط الطويل والشريط القصير يقوم غالبا على كيفية تقديم القصة ، فكثيرا ما يقرا القصة على مسامع النظارة مذيع او اكثر كما هو الحال في اجهزة الراديو بدون ان يقوم الممثل او الممثلون بادوارهم على الشاشة ، وتستعمل هذه الافلام غالبا لاهداف معينة منها الوصف ومنها الدعاية ومنها التثقيف ، فهي افلام علمية وتاريخية وسياسية وفنية ، يحتل فيها الكلام مكانة مرموقة لان الفائدة هنا في المام الجماهير بالمواضيع المطروقة امامهم وما الصور الا وسيلة لارساخ تلك المواضيع في اذهان النظارة ، لكن يتحتم هنا ايضا ان لا تفقد الصورة قيمتها ومكانتها وان كان محرر الموضوع مبدعا وصاحب الصوت مذيعا ماهرا .

هذا ما اردنا ان نشير اليه في هذا البحث الذي خصصناه للقصة ومكانتها في الشريط السينمائي وهي كما لاحظنا تعتمد على الخيال التصويري اكثر من اي عمل ادبي يقدم للنشر او للاذاعة او للمسرح ورجاؤنا ان نلتقي بالقراء في فرصة أخرى فنتعمق في الفروق التي تميز القصة السينمائية عن غيرها وتطبعها بطابع خاص وبشخصية معينة .

عقبات في طريق ازدهار القصة

بقلم محمد المرزوقي

حضرت ندوة للقصة عقدتها الاذاعة التونسية منذ ثلاثة اشهر تقريبا، اتذكر اني اجبت فيها عن سؤال طرحه احد الاخوان الحاضرين وهو : هل توجد قصة في تونس ؟ بانها موجودة فعلا ، ولكنها ما زالت كالطفل لم يتجاوز عامه الاول فهو يحاول ان ينطق فيخونه لسانه ويناضل لكي يقف على قدميه فتقعد به قواه ، ويترتب عن هذا الجواب سؤال ثان وهو : متى يتمكن هذا الطفل من النطق الصحيح ومن الوقوف على قدميه ؟ والجواب على هذا السؤال الثاني فيه نوع من الصعوبة اذ لا يمكن في رأيي تحديد الزمن الذي يستغرقه نمو هذا الطفل ما دامت هناك عقبات كأداء تعترض طريق نموه الطبيعي هذه العقبات التي تقف اليوم في طريق ازدهار القصة التونسية التي ولدت وتحركت وبدأت في النمو ، على انه نمو بطيء مضطرب لم يتخذ سمتا ولم يكتسب بعد سمات خاصة .

واذا قلت هنا : القصة التونسية فانما اريد القصة العربية بصفة عامة فهي في رأيي - وحسبما وصلنا لحد اليوم من نماذجها الواردة من الشرق العربي - ليست اقل ضعفا وفسولة من القصة التونسية المحلية الا بقدر الزمن الذي سبقنا به الشرق العربي لكتابة القصة .

ولا اريد هنا ان اتعرض لجميع العقبات التي تعترض طريق ازدهار كتابة القصة عندنا ولكن ساقتصر على الاهم منها باختصار .

١) طفولة القصة : اتذكر ان احد الاخوان في ندوة الاذاعة التونسية قال: ان الشرق العربي - ما زال بالنسبة للادب - في طوره الشعري ، وهو يقصد بكلمته هذه ، ان حياة الشعوب الادبية اول ما تبدأ بالشعر الذي يعتمد في الغالب على الخيال حتى اذا نمت في هذه الشعوب الثقافة واستقرت حياتها السياسية والاقتصادية تطورت عقليتها وتخلصت من الطور الشعري الى طور البحث والتفكير والانتاج

العقلي المتزن وفي هذا الطور تولد القصة وتنمو اذ ان القصة تعتمد في المقام الاول على تصوير الواقع .

وعليه فان حياتنا الادبية لما تزل في طورها الاول وليس من الطبيعي ان نسبق الزمن فتزدهر القصة عندنا ونحن في هذا الطور فلابد لنا من الصبر حتى نصل الى الطور الذي تنمو فيه القصة نموها الطبيعي اعني انه لا بدلنا من زمن قد يطول وقد يقصر - حسب امكانياتنا - يترعرع فيه الطفل الوليد وتكتمل قواه ويستطيع ان يقف ثم يخطو ثم يسلك طريقه مع الناس .

فالقصة في تونس لم تولد الا منذ زمن يسير فلنعط لهاالزمن الطبيعي للنمو ثم نحكم عليها بعدذلك وهذا الزمن الطبيعي في الامكان ان تقرب حسابه بالزمن الذي استغرقته القصة الاميركية او الروسية مثلا بين ولادتها وازدهارها على ان قصتنايجب ان تستغرق زمنا اكثر لان هناك عقبات سنشير اليها فيما يلي هي موجودة في مجتمعنا ومفقودة من المجتمعات الاجنبية .

٢) المرأة: سيندهش البعض من ان تكون المراة عقبة في طريق ازدهار القصة ولكني اطمئنهم باني لا اقصد ذات المراة وانما اقصد ان وضعية المراة عندنا هي العقبة ، فالمراة عندنا كانت الى ما قبل عامين فقط سجينة خلف الجدران ووراء الحجب والاستار ، وكان الادباء يجهلون عنها كل شيء اي انهم لا يعرفون شيئا عن نصف مجتمعهم ، وما دامت القصة كما قلت سابقا تعتمد في الدرجة الاولى على تصوير الواقع فحجاب المراة وابتعادها عن الرجل وعن الحياة العامة جعل الكاتب عاجزا عن تصوير هذا الواقع فهو اذا حاول الكتابة فانما يصور ما يتخيله لا ما يعرفه وما يعيش فيه واذاكانت المراة قد تحررت الآن وشاركت في الحياة الاجتماعية فان هذه المشاركة لا تزال محتشمة تسيطر عليها خيالات الماضي ودهشة الانتقال من طور الى طور

٣) غريزة موروثة : اشتهر الشرقي بصفة عامة بانه قليل الصبر ضعيف الاحتمال وهي غريزة موروثة نشعر بها كلما اتجهنا الى عمل من الاعمال ، ولا ادعي ان هذه الصفة قد ركبها الله في جنسنا او زرعها في دمائنا ولكنني اشعر اننا ورثناها عن العصور المظلمة الطويلة التي عاشها الشرق - واكاد اجزم ان صفة الصبر تنبت في عهود الاستقرار والامن - ولذلك تجلت اكثر في الشعوب الاكثر استقرارا وامناوعدالة

واكرر دائما ان القصة تعتمد على تصوير الواقعيات وهذا يتطلب البحث

والتنقيب والتجربة والمشاهدة وكلما كتب الكاتب عن حياة عاشها بنفسه وتقلب فيها واضطرب في مسالكها كلما كانت قصته اقرب الى النفس واشد تاثيرا ، فاذا كان صاحب (علبة السردين) قد قضى اعواما من حياته في الوسط الذي كتب عنه قصته ، شاركه في افراحه واتراحه ووسائل عيشه واضطرب معه في اعماله واشغاله وفي نومه ويقظته فكانت قصته ابدع ما اخرجته المطابع الى الناس ، اذا كان هذا الكاتب قد احتمل ما احتمل وصبر في عزم واصرار حتى اكتمل له هيكل قصته فاني اشك ان يعمد كاتب شرقي - في هذا الزمن على الاقل - الى ما صنعه صاحب (علبة السردين) ويصبر صبره من اجل كتابة قصة يخرجها للناس .

٤) اللغة : نعم اللغة وهي اهم العقبات في رأيي فنحن لسنا كالاوربيين نكتب باللغة التي نتكلمها ونستطيع ان نصور واقع حياتنا بلغتنا وتنطق اشخاص قصصنا باللغة التي يتحدثونها في الواقع ، ولكننا حائرون اليوم بين لغتين وكلاهما لا تصور واقع اشخاص القصة كما هو .

فالعربية الفصحى اصبحت في حكم الاجنبية عنا وقد بعد الزمان بيننا وبينها حتى اصبح من العسير ان يفهمها ناقص الثقافة فضلا عن الجاهل وان من المضحك حقا ان يعمد الكاتب الى تصوير مشهد حديث عادي بين (الام دوجة وابنتها) مثلا بلسان عربي فصيح مهما كان بسيطا

والعربية الدارجة لم تصل الى درجة من التطور يستطيع الكاتب ان يعبر بها عن دقائق الاشياء وعن الخلجات النفسية لاشخاص القصة .

ويظهر ان بعض كتابنا قد احس بهذه العقبة فعمد الى الخلط بين اللغتين فهو يسرد الحوادث بالعربية الفصيحة حتى اذا وصل الى مشهد حي فيه حوار عمد الى اللهجة الدارجة وهي طريقة اكثر ما يقال فيها انها محاولة للتوصل الى تصوير الواقع في المشاهد الحية .

واذا كانت العقبات الثلاث الاولى يمكن ان تزاح من طريق القصة بمرور الزمن وبتحقيق عهد من الاستقرار فان العقبة الاخيرة سوف لن نستطيع التغلب عليها الا بنشر الثقافة العربية في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية في المدرسة والادارة وفي المنزل والشارع مع تبسيط العربية الفصحى وتنقيتها من الحوشي والغريب وتهذيب الدارجة وتعويد صغارنا على النطق بها معربة (باسكان العين) حتى تتصل اللهجتان ببعضهما ويتحقق خلق لغة متحدة نتكلمها ونكتبها في آن واحد ، اما كم يلزمنا من الزمن حتى نصل الى ايجاد هذه اللهجة الموحدة فهذا ما لا استطيع الجواب عنه .

مزرعة النور

بقلم محمد منصور

هـذه القصـة أحجمنا عن نشرها وبينا الاسبـاب في عدد جـانفي (بريد القراء) وختمنا كلمتنا بقولنا :.. « ومع تقديرنا لعواطفك الشريفة ومبـادئك السـامية فإن الصحافي المتحمس المجـادل غلب فيك القصـاص » (راجـع مـا قلنـاه بالضبط في بريد القـراء لعـددي جـانفي ومـارس)

لكن صـاحب القصـة أخذ علينا ذلك وعلله تعليلا لا نوافقه عليه .

وبما ان هذا العدد عدد قضية القصة التونسية فقد رأينا نشرها تتميما للفائدة وحتى يعرف القراء بانفسهم الاخطار التي تعترض القصة العربية الناشئة .

ولا يزال رائدنا البحث عن الحقيقة وخدمة الادب في هذه الديـار .

« الفكـر »

... إنه لا مكان لك بين الجامعة منذ اليوم ...!!

واعتـدل الشاب في جلسته بينما يـده اليسرى تعبث بربطة عنقه الرمادية .

وواصل الاستاذ الشيخ كلامه : لقد تتبعت رقابة الجامعة نشاطك خارجها وداخلها وقـامت لديها جميع القرائن على سلوك اللاسوى ، ولهـذا اتخـذت في شأنك هذا القرار .. »

وقفزت البسمات الى بعض الشفاه حـوله كما قفزت الدهشـة والاحتجاج الى بعض الوجوه الاخرى ، وبين سخرية الساخرين وغضب الغاضبين انتصب كالعملاق:

ـ سيدي اود ان اعرف على اي اساس استند مجلس الجامعة في اتخاذ هذا القرار .

ـ راجع سلوكك خلال العامين الاخيرين تجد الاساس واضحا .

ـ ولكن لم اقم بأي عمـل يناقض ما تلقينـاه عنكم من مبـادي تؤمنون بها يا حضرة الاستاذ ...!!

لا مجال للمناقشة هنا ، لقد استمعت الى مصيرك منذ لحظـات وانتهت هـذه الحكاية ، أفاهم انت ...؟!

وانتفض الشباب لهذا التهديد الناضح به كلام الاستاذ وود لو وجـد مجالا فسيحا ليعطيه درسا . . ولكنه اخذ محفظته وسار في خطوات حازمة نحو مكتب عميد الجامعة الا انه لم يجده . . . وحين لفظه الباب الخارجي للجامعة التفت نحو منعطف الطريق الايمن نشاهد احد رفاقه يسير في سرعة غريبة ، وسرعـان ما استوقفه عند ما اطلق صفيرا كان أشارة بينهما كلما دعت الظروف لذلك.

ـ مساء الخير يا عبد الحميد .

ـ مساء الخير يا مصطفى .

ـ خير هذا الذي جعلك تعدو يا أخي ؟ هل عندك اخبار جـديدة عن الوطن ، وعن الرفاق الذين غادرونا منذ اسبوع ؟

ـ كل شيء يسير كما ينبغي ، ابطالنا في القمم والوهاد يخطـون كل يوم في سجل التاريخ آيات خالدة من الامجاد والبطولات وفي هذا الصباح اتصلت برسالة من رفاقنا الطلبة الذين سألت عنهم . يقولون : انهم هناك رابضون مع الطـلائع المشرئبة الى الفجر . . الفجر الذي سيولد ، سيبزغ قريبا ، ويرغبون منا احكام الخطة والحذر اليقظان .

وانت يا مصطفى الا توجد عندك دروس في الجامعة هذا المساء ، ثم ما هـذه الغمـامة من الكابة السوداء التي تلف محيـاك ، اني اراك على غير عـادتك فهل انا مخطىء ؟ .

ـ لقد تم ما كنا نتوقعه منذ مدة ، اعني اصبحت مطرودا من الجامعة ، أرأيت يا اخي الى اي حد يصل التفكير بأقوام طالما تغنوا بقيم سامية ونادوا بمثل عليا ، ولكنهم في الواقع لا يحملون ذرة من الايمان بهذه القيم .

ان امر هؤلاء القوم لغريب حقا كما قلت ، ولكني اعتقد ان هـذه المرحلة آمنا بها منذ ازمان وتجاوزناها الى مرحلة اخرى ، وآن لنا ان نفعل شيئا ، ان نجدد لتلك القيم مفاهيمها الصحيحة ، ان ننقذها من براثن هؤلاء الوحوش المتسربلين بالفرو والمخمل ؛ ان اللهيب المشتعـل هناك هو في آن واحد وليد ايماننا الصحيح بالقيم ووليد ايمانهم الزائف بها ، وسوف ينهزم الزيف ويتلاشى امـام صـلادة الايمان وحرارته ، تلك سنة الحياة في كل مكان . . .

وانطلق مصطفى الى بيته منفعلا بما صبه محمود في اذنيه من كلمـات منبعثة عن ايمان وعزم . . . ، اذن لقد انتهى كل شيء ، وفي نفس اللحظة ابتدأ العمل لكل شيء . . . وحين جلس على المقعد متهالكا حانت منه التفاتة الى اسفل فـرأى جريدة المساء ، وقد لوح بها بائع الصحف كعادته . . . وتناولها مصطفى وسرعان ما تسمر نظره عند عنوان ضخم في الصفحة الاولى : « هزائم شنيعة لفرق الخارجين

عن القانون » ، « ابادة احدى معاقل الثوار » ، وتوقف طويلا عند هذا العنوان ، ما باله ... ؟ أتراه أصبح انسانا آخر ... ؟ لقد رأى مثل هذا العنوان سابقا ولكنه الآن يشعر بضغط عنيف يعمق ايمانه بشرعية سلوك رفاقه وبفظاعة العمل الذي يقوم به رسل الحضارة والمدنية ... !! كلهم ... كلهم على الاطلاق مزيفون ، كذابون هؤلاء .. الذين يبشرون بالعدالة والحرية . « والذين يحملون باليد اليسرى : راية العالم الحر » وباليمنى خنجرا لقتل الحرية بل لقتل الاحرار .. كلهم حتى المفكرون والمثقفون يتهاوون الى السفح ، يتجردون من انسانيتهم .. من ضمائرهم ويتقلبون الى اي شيء آخر غير الانسان ..

اولئك الذين يخنقون الحرية بالحديد والنار و هؤلاء الذين يزيفون الحقائق والاخبار كلهم مجرمون ...

ويتابع مصطفى قراءة الصحيفة : « يجب القضاء على هذه الفئة الضالة للمحافظة على ترابنا وملاحة مواطنينا » ... اذن من نحن ؟ رعايا ووطننا تربة لهم .. انهم يريدون ان نصبح «هم» يريدون محونا من خارطة الوجود .. انه لمنطق اعرج ولكنهم سوف يدركون ان وجودنا ممتد الجذور في التاريخ ، وشخصيتنا تتسم بطابع لن تستطيع قوة في العالم ان تسلبه عنها ، او ان تحاول طمس هذا «الوجود»

واستيقظ على صوت طرقات خفيفة على الباب ، وكانت هي ، صديقته ... جاءت لتبلغه اسفها لما حدث له بالجامعة .

ـ اناجد آسفة يا صديقي .

ـ انا اكبر فيك هذه الروح يا صديقتي ، ولكنني لست آسفا ، ان كل ما وقع لا يعني سوى شيء واحد هو ازمة «الضمير» التي تعانيها هذه المجموعة البشرية في العالم

واحست « ليلان » بالطعنة تتسرب في وعيها وتحفزها الى الدفاع عن شخصيتها ضد هذا المتحامل عليها في عنف ... ولكن هذا الخيط من الصداقة والحب تستطيع ان تمزقه ؟ وفكرت طويلا .. اليس هو الذي بدا في اشعال الحريق فليحتمل مغبته اذن ... قالت :

ـ ارجوك فاني انسان له عواطف واحاسيس لا يتحمل طويلا ان تخدش

ـ اعتقد انك ما تزالين تذكرين تلك الدروس التي تلقيناها معا عن الصراحة والايمان بالحقيقة ، وليس في كلامي شيء اكثر من الحقيقة ... والحقيقة فيما اعتقد واحدة لا تتجزأ .

ـ ولكن الا يجب علينا ان نتجاوز عن الحقيقة احيانا والا اصبحت الحياة جحيما لا يطاق .

ـ مع فرض صحة ما تقولين فان هناك مواقف لا يجوز فيها بحال ان

تتجاوز الحقيقة والا اصبحنا خائنين لقضية « وجودنا » ، والوضع الذي نعيشه يا صديقتي وضع يتعلق بقضية وجودنا ، ومن ثم يتحتم علينا ان نواجهه بكل صراحة واخلاص ،! افرضي ياصديقتي ان انسانا ما اعتدى على شخصيتك الا تصرخين في وجهه : انك ظالم ، وتقاومينه بكل الوسائل التي لديك ، وللشعوب شخصيات ترضى ان تباد في الدفاع عنها دون ان تنسحب منها ، وانت هل ترضين في يوم ما ان تكون امتك امة اخرى ، وان تسلب منها كل مقومات شخصيتها .

واحست « ليلان » بانها تنهار امام صلابة هذا الانسان المؤمن بقضيته .

- يؤسفني ان نظل دائما على اختلاف في وجهات نظرنا ياصديقي ، ولست مستطيعة ان اتنازل عن فكرتي ، ان العمل الذي يقوم به جنودنا هناك لا يراد منه الا شيء واحد : هو حفظ الامن

واحس مصطفى بثوران عنيف ، باندفاع حاد الى صفع هذه المتطاولة عليه الممعنة في تجاهل الحقيقة ، ولكنه كبت احساسه وتظاهر بالهدوء ، ومع آخر نفثة من دخان اللفافة الملتهبة كاعصابه قال :

- يؤسفني انا ايضا ان تنحدر فتاة مثقفة مثلك الى هذا الحضيض من سخافة التفكير والامعان في الضلال ، لقد حدثتك طويلا قبل اليوم عن تلك البلاد وعن تاريخها ، وابنت لك الحقيقة التي يزيفونها لكم في المدرسة ، ولكنك ما تزالين على عنادك ، فهل آن لك ان تفهمي وتكفي عن الهذيان

ولم تحتمل « ليلان » ما صب عليها من حمم فوقفت بسرعة ويدها الى الباب بينما شفتاها ترددان : وداعا .

واغلق الباب اثرها بشدة وعاد الى الكرسي شارد الفكر مضطرب الاحاسيس وحين فتح المذياع استمع الى احدى المحطات الصديقة تذيع آخر انباء المعركة وتشرح تفاصيل الوحشية التي يقوم بها رسل الحضارة الغربية ... انهم يصرون على ضلالهم ، يمعنون في اقتراف افظع الجرائم ... ، وانت ما هو المعنى الواضح من وجودك هنا ... ؟

يجب ان تكون هناك في البؤرة .. وانتفض لهذا الصوت العنيف ، ان مكانه هناك لا هنا ،

وبعنف اغلق المذياع وارتدى معطفه ... وحين وصل الى الشارع امتطى احدى سيارات الاجرة ...

- كم تريد ؟

- مائة وعشرين فرنكا ، وعوض ان يمد له مقدار الدراهم وقف يتامل فيه ، انملامحه ولهجته تدل على انه من ابناء وطنه ، واحد من آلاف المشردين الذين يبحثون عن العيش في اوطان غريبة بعد ان اصبح وطنهم مزرعة للحديد والنار .

- اذن انت الاخر هنا تلهث وراء الرزق ...

- وانت من الوطن المناضل ... انها لفرصة سعيدة ، الى اي وجهة تقصد الآن

- اقصد الى هنا ... لكن لي سؤال اريدان اطرحه عليك لم لم تكن هناك ...؟

- انني هنا احمل نصيبا من المسؤولية ما ارى حركتنا في غنى عنها ... وفهم مصطفى ما يعني ... وقبل ان يودعه قال سائق السيارة :

- لعلك تقصد محمود

- اجل ... والى اللقاء

وادار السائق عجلات السيارة بينما دلف مصطفى الى البيت الذي يسكنه محمود .

- مساء الخير يا صديقي .

- اهلا ... ما الذي جاءبك في هذا الوقت وانت تعرف خطورة الوضع .

- جئت اليك استشيرك في مهمة، لا بل اطلب منك ان تبحث لي عن طريق، انني لن استطيع ان اعيش بعد اليوم خارج المعركة ، ان الشعور بالمسؤولية والايمان بالواجب سوف يبقيان تعبيرا سلبيا ان لم يكن لهما وجود خارج الذات، واذن فعلينا ان نعين المعركة داخليا وخارجيا والا اصبحنا خائنين لذواتنا ولذوات الآخرين الذين يشاركوننا نفس المصير ... ، واولئك المواطنون الذين يتبعون معركتنا ويتألمون ، ولا يعبرون عن المهم بالمشاركة ، هم في نظري خائنون .

وشعر محمود بالاندفاع والتصميم ينبعثان من كلام مصطفى وحركاته فقال :

- حسنا . انت اذن تريد ان تلتحق بالقافلة ، القافلة التي اسرعت تغتال الظلام وتزرع النور ... سوف ابذل المستحيل في سبيل ان تصل ...

وفي مساء اليوم التالي كانوا ثلاثة يجتمعون بغرفة ويرسمون تصميما للخطة ...

* * *

أخي محمود اكتب اليك بعد ان وصلنا سالمين ، انا وصديقي ابراهيم سائق عربة الاجرة ، وقد كدنا مرارا ان نسقط في الفخ ولكن مهارة ابراهيم انقذتنا من جميع المواقف .. وها نحن اليوم في قلب المعركة نزرع النور مع الزارعين ..

سلام عليك من ارض الدم ... من الجزائر الثائرة .

أخوك مصطفى ...

قصة القصة بتونس

بقلم : عمر فضة

لم يكن الانسان من يوم الخلق الى يومنا هذا سوى قصة متسلسلة ارتبطت احداثها باختلاف الليل والنهار والاوضاع في الزمان والمكان . وكان بدء الخليقة قصة ، وكان الانسان الاول بطلها الاول من يوم ان علم الله ادم الاسماء كلها وعرف ابن آدم كيف يواري سوأة اخيه ، ومن هناك اتضحت الاتجاهات العلمية الحقة للقصة بجميع انواعها وبرزت الكتب السماوية الاربعة تقص على الناس القصص الحق ولم يكن ذلك بمحض الصداقة وانما كان تاكيدا لما للقصة من تاثير بليغ على الواقع الفكري للانسان (نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا)

وهكذا اصبحنا قصة ترويها الاجيال للاجيال فمنها الموعظة ومنها التسلية وروحها لهفة الانسان وحب اطلاعه على واقع غيره ، وحتى واقعه بالذات الامر الذي جعل الكتب السماوية تاخذ طريقها للاذهان باسلوب قصصي كريم بما فيها من ترغيب للايمان وترهيب من الكفر (ولو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس)

الوعي الفكري ... اصله قصة

وهذا ما حدث بالفعل اذ منذ القرون الاولى حتى يومنا هذا والى ان يرث الله الارض ومن عليها فالوعي الفكري كان نتيجة امثال تنوقلت من عصر الى عصر ومن بلد الى آخر وكان العلم ناقوس التطلع نحو السمو يتخذ طريقه في قصة ، ومن هناك ظهرت الامتيازات الخاصة بكل معشر بشري وبرزت لكل امة آداب خلدت اسماء هذه الامم الى يومنا هذا وابرز حدث يشعرنا بامومة القصة لآداب الامم كتاب كليلة ودمنة فقد كان الحدث الهام الذي غير من اتجاهات فكرية عامة لحياة جموع بشرية عديدة .

اني بهذا العرض البسيط لا اريد ان ابرز مكانة القصة في حياة الامم والجماعات وانما اريد ان ابحث مع الباحثين في ادب شعوب المغرب العربي الكبير وهل توجد

قصة ام لا ؟ بل هل توجد في حياة دولتنا المغربية العربية الكبرى منذ بدء التاريخ وقبل الفتح وبعده شيء اسمه : « القصة » ؟

حتى اذا ما رجعنا الى ابن خلدون ، وهو رجوع قريب بالنسبة لبلادنا العريقة ، لم نجد غير استعراضات تاريخية جافة اصبح الرجوع اليها بالنسبة لعصرنا الحاضر امرا مزعجا ياخذ منا وقتا كبيرا ونحن الذين اصبحنا ندين بالسرعة في كل شيء في حياتنا ، ومع ذلك فنحن نفهم القصة ونتلهف عليها ونميل بشدة لكي نقرأ عن الناس ما كتبوا عن انفسهم اما نحن فلم نكتب من قبل ولا اليوم عن انفسنا شيئا البتة ! . .

اني اشعر بان الكثير من القراء ستستولي عليهم الغرابة وانا انكر وجود « القصة التونسية » او القصة المغربية العربية ، وانهم لعلى حق في استغرابهم ، وانا معهم في ذلك ! . .

ان كل واحد منا تشكل حياته الخاصة والعامة قصة ، ونحن كشعب اصيل عريق تحدث الناس عنه كثيرا في قصص عديدة ، ومرة اخرى فنحن نفهم القصة ومعنى القصة ونبوغنا الفكري تحدث عنه الناس في اكثر من قصة ، ومع ذلك فنحن لم نكتب عن انفسنا ، ولا عن غيرنا اية قصة لست ادري لماذا ؟ نعم ، لست ادري لماذا ؟ اذ اني رجعت الى تاريخنا مكتوبا ومخطوطا وسالت امهات الكتب عن القصة التونسية فلم اعثر ولو على جزء من فقرات كتب التاريخ التونسية ، والكثير من المؤلفات التونسية القديمة ، بل لم اعثر الا على محاولات باردة في حكايات تاريخية تتجه مباشرة الى سرد وقائع بعينها مع ربط بسيط لا حداثها ، وباسلوب ممل ، يضل ، ولا يدل ، وهذا كالكتب الاخبارية ورحلات بعض رجالات الفقه والعلم ، وكتب التراجم (التملقية)وغيرها ، وهذا ما جعلني اعتبر انه من الغرابة ان نتحدث او نبحث عن « القصة التونسية المفقودة »

انني اعرف ان هناك من سينكر على قولي ويدعي بان لدينا بعض قصص تونسية حديثة ، وبعضهم يدعي ايضا ان لدينا كتابا في القصة واني لا انكر على الاول ادعاءهم ، مثلما لا اسفه ادعاء الآخرين ولكنني اجيب الجميع بكلمة صريحة نشعر جميعا بمرارة وقعها علينا ، الا ان الواقع يضطرنا الى الاعلان عنها .

لقد قرات قصص الاستاذ محمد المرزوقي ، ابرز شخصية ادبية انتجت لنا

بعض قصص تونسية وقد قرات قصص «عرقوب الخير» وقصص « بين زوجتين » وطريقة الاستاذ المرزوقي في ابراز قصصه تكاد تكون محلية الصنع بالرغم من اتجاهه الاسلوب الادبي المعبر ، ولكن الاستاذ المرزوقي اجتهد واصاب من حيث الصنع ، اما من حيث الخلق في القصة فاني ارجو من استاذنا المرزوقي ان يسمح لي بان اعترف له بانه اخطا ، وهذا ما اضطرني الى تسمية كتبه بحكايات ادبية محلية ضيقة ان لم اقل بانها محاولات قد تبشرنا بخير منها في مستقبل ايام الاستاذ المرزوقي القصاص وبذلك يكون قصاص تونس الاول ، لم يصبح بعد قصاصا باتم معنى الكلمة ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى تفرغه الى الانتاج الاذاعي الروائي او ان لدى الاستاذ المرزوقي انتاجا اخر احسن مما ظهر ولم نطلع عليه بعد فذلك امر اخر نلتقي به عندما يبرز للوجود . . .

اما ما دون الاستاذ المرزوقي ، فهناك محاولات ولكنها ذات نفس قصير ، لان اصحابها يتوهمون أن القصة جزء من مقامات الحريري « وشوية » خيال كما يعبر عن ذلك الدكتور الحميري ، وهذا ما يجعلنا نتجه الى البحث عن غيرهم في ميدان كتابة القصة .

ان القصة التونسية لم توجد بعد ، والبحث عنها يضيع علينا وقتنا الثمين ، واذا ما كنا نريدان تبرز القصة التونسية للوجود فحبا ان نخلق الاقلام التي تترجم احساساتنا ومشاعرنا وتصور واقعنا وحينئذ نصفق لاول قصة تونسية صميمة

ان القصة هي ام اداب الامم ، واذا لم توجد القصة التونسية فمعنى ذلك اننا لا نملك ادبا بالمرة ، حتى اذا ما حدثت المعجزة كانت «الفكر» تمثل دور البطولة في قصة القصة بتونس .

اننا في حاجة الى مشاعر اخرى ، ونظرات جديدة للحياة .... نحن نريد شيئا جديدا واحساسات جديدة ، لاننا نحن انفسنا جديدون في هذه الحياة

مطالعات

أنا أحيا

قصة بقلم ليلى بعلبكي
تقديم رضا سعادة

تناديها امها في البيت يا .. وتتوقف فلا تجرأ ان تقول ليلى ! واذا تحدثت عنها .. سمتها « هي » .

نعم « هي » .. ولكن من هي .. ؟ ولـم هـذه السخرية المتكابرة ! ؟

هل اصبح اسم ليلى في البيت من الرجس الى حد يتحفظ اللسان عن النطق به .. ؟ ام ماذا ؟

ليلي ! اسم له من الخفة والموسيقى ما يدعو الصغير للتغني والتسلي به . ومع ذلك ، فاسمها في هذه الاسرة المحافظة جدا على التقاليد والمتدينة الى حد التكفير بتعليم البنت محذوف من الحديث العائلي !

« هي » اسم لكائن حي في بيت البعلبكي يمشي على اثنيـن .. ابت إلا ان تشنها حربا على هذا الجو وعلى هذه التقاليد ولا شيء آخر ..

وفعلا شنتها « هي » حربا على الاوضاع البالية وعلى التقاليد .. تقاليد عائلتها .. ومجتمعها .. ومجتمع عالمها العربي .

شنتها حربا على حرب .. حربا على الرجعية .. وعلى التدين المزيف المتزلف وعلى العادات ...

ومن اجل هذا كانت عليهـا غضبة امها ومجتمعهـا .. غضبة على الاصلاح والتقدم والتطور .

ليلي هذه او « هي » التي لي شرف تقديمها اليوم الى قراء الفكر مـن بيت مسلم من جنوب لبنان نزحت الى بيروت واستقرت فيها .. تبلغ من العمر واحدا وعشرين سنة .. تلقت تعلمها الابتدائي باحدى مدارس بيروت ولما تحصلت على شهادتها الاولى انتصبت امها تمانع في مواصلة تعلم البنت خوفا من تطـورها ومنافستها بالتجديد ...

لكن ذكاء هذه الشابة الطريفة اذاب وصهر الحجج المرتعشة التي رددتها امها . . . وواصلت ليلى تعلمها الثانوي . . وفازت بالشهادة الثانية . . وفي هذه المرة تقدم والدها ليضع العصا في دولاب تقدمها . . ويكسو طريق نهضتها شوكا ووحلا غير ان عزم هذه الفتاة الفولاذي وقوة ايمانها بشخصيتها جعلاها تسحق . . العثرات في ثبات وحكمة . . ثم تعلنها ثورة وحربا على المجتمع والعالم العربي . . فيما كانت تواصل دراستها في معهد الاداب الشرقي بالجامعة اليسوعية وتشتغل في المجلس النيابي في ذات الوقت

هذه ليلى كما عرفتها . . وسمعت عنها . . وهي تتقدم اليوم الى قراء «الفكر» بكتابها المتواضع الذي يترجم الى الفرنسية الآن « انا احيا » راجية من قراء الشمال الافريقي ان تلقى من تعليقاتهم ما يساعدها ويشجعها على اصدار كتابها الثاني .

اما كتابها الاول فتقول عنه : « انه فتح افاقا جديدة في عالم الادب العربي وسيساعد طلاب الفن من ذوي اللغتين . . من التعرف على اوضاع اجتماعية جديدة : (اما نحن فنترك الكلمة في هذا الكتاب الى الاستاذ مخائيل نعيمة وقد قال في رسالة له الى ليلى :

عزيزتي الانسة بعلبكي

راجعتك في كتابك « انا احيا » فكاد يصيبني دوار من سرعة الحركة فيه ومن بريق الومضات المتعاقبة على شاشته تعاقبا يبدو كما لو كان في منتهى الفوضى . اما في الواقع فهو في منتهى النظام ونظامه نظام الفكر يجري على سجيته دونما اي رادع من اي منطق او من اي موجة . فيقفز - كما هي عادة الفكر المنسرح - من صورة الى صورة ، ومن وضع الى وضع ، ومن عالم الى عالم . لا فرق بين جليل وتافه ، وفائر وفاتر ، ومألوف وغير مألوف . وقفزه قفز الجندب ليس يدري ولا يدري سواه انى يتجه في هذه اللحظة او في التي بعدها .

وعندي ان النكهة التي يمتاز بها كتابك هي البراعة في التقاط تلك القفزات وحبسها في حروف ومقاطع وكلمات تضج بالاحاسيس البشرية .

وهذه الاحاسيس في كتابك هي احاسيس فتاة اكتملت انوثتها فلج

بها الشوق الى حياة تبسط لتلك الانوثة ذراعيها وتهتف بها : « مرحى ، مرحى ! كل ما عندي مباح لك » .

لكنما الامر جاء على غير ما كانت تشتهيه الفتاة . فما انطلقت تفتش عن تحقيق رغباتها حتى اصطدمت بشتى العقبات التي مـا فتىء المجتمع يقيمها في وجه المتمردين على اوضاعه وتقاليده . الا انهـا من فرط ما بهـا من ثورة جـامحة ، استطاعت ان تتخطى الكثير من تلك العقبات ، وان تكشف الكثير من عورات المجتمع الذى تعيش فيه ولم تقف مدحورة ، مخذولة ، يائسـة ، الا امـام العقبـة الاقسى والاهم ـ عقبة الحب الذي يحقق اسمى ما تصبو اليه انوثتها .

وهنا الفاجعة . فالشاب الذي احبته واعتقدت انه احبها افهمهـا في النهاية انه يعيش لحزبه ومستقبله لا لها . وان كان يتلهى بهـا . فادركت انـه « مشروع مستقبل ضاع . . . ضاع »وعادت تعثر بدموعها وخيبتها الى البيت الذي فيه ربيت ومنه انطلقت وهي تردد بمـرارة :

« كاني مجبرة على العودة الى البيت . دائما يجب ان أعود الى البيت . ان انام في هذا البيت ان آكل في هذا البيت .أن استحم في هـذا البيت . ان يحبك مصيري في هذا البيت . . . . »

هكذا تنتهي سياحات فتاتك ما بين بيتهـا ومركز عملهـا ، وباب ادريس ومقهى في جوار الجامعة الاميركية . انها لرقعة من الارض جد ضيقة تلك التي تدور فيها فصول الكتاب . واضيق منها ذلك الافق الفكري الـذي تدور فيه ، والذي ينتهي الى فراغ روحي موحش ، رهيب .

لكن براعتك في تصوير ذلك الافق وذلك الفراغ تعوض عما في الاول من ضيق وفي الثاني من وحشة . والذي ارجوه هو ان يكون اسلوبك هذا من ابتكارك ، لا محاكاة لاسلوب سبقك اليه سواك . فالاسلوب وحده كاف لان يجعل لكتـابك قيمة ليست لاي كـتاب غيرة في الادب العربي ـ قديمه وحديثـه . انه لاسلوب جديد ، فريد» .

المحاصي ـ مخائيل نعيمه

بعد هذا ، ما هو راي « الفكـر » الشمـال الافريقي في الكتـاب بعد ما عرفنا الحملة الشعواء التى خلفها في المجتمع العربي الاسلامي في الشرق .

هل سيلتقي الفكر المغربي بالفكر الشرقي المحتار ؟ ام هل ان له رأيـا في الموضوع . . شأنه في كل المواقف السياسية والادبية من الشرق ؟ هذا ما ننتظره !

الحريق

تأليف نور الدين بوجدرة
تقديم أحمد خالد

« الحـريق » كتاب لنور الدين بو جـدرة ظهر اخيرا والتزمت بنشره ـ دار النشر لصاحبها السيد علي بوسلامة ـ بتونس .

هو ليس في الحقيقة قصة ذات النفس المسترسل، وانما هي خواطر مستوحاة من الثورة الجزائرية اودعها صاحبها كتابه في قالب قصصي .

وإن المؤلف ليشير الى ذلك في « كلمته » إذ يقول« . . . وفي الحقيقة يبدو هذا الكتاب للقارىء كتابا اخباريا سياسيا لا قصة كاملة » .

وعلى كل فنحن نشعر ، ونحن نطالع الكتاب، بشيء من الحرج؛ فالموضوع في حد ذاته يمكن ان يكون موضوع قصة ولكنا لا نرتاح كل الارتياح للقالب .

فالكاتب ينتقل من ميدان القصة الى ابداء آرائه السياسية ويعتذر للقراء عن ذلك فيقول مثلا ص١٣: « عفوك أيها القارىء العـزيز ! لقد حدث عما حدث لذلك الشيخ الوقـور وتلك الاسرة الهادئة ! لكن اعلم اني لا استطيـع ردع فيضان حماسي » .

بطـلا هذه القصة إن صح هذا التعبير ، همـا « عـلاوة » و « زهـور » ألف الحب بينهما وكان لهما مصير واحد .

فقد اغتال جنود المظلات والدَيْ عـلاوة فعزم على ان يثأر لهما والتحق بجيش التحرير وصار يعيش عيشة المجاهدين بين كَـرّ وفَـرّ وأسر وفـرار ، وأبت حبيبته بعد اغتيال أبيها من طرف الجنود، إلا أن تشاطر حياة علاوة في قمم الجبال وتلاطف الجرحى ، وتضمد جراحهم ، وإثـر إقامتها في الجبـال أصيبت بمرض شديد فكاف علاوة بحملها الى بعض المستشفيات بالبلاد التونسية ولكن الجنود الفرنسيين كانوا لهما بالمرصاد فنصبوا لهما كمينا وانتهى الامر باستشهادهما.

على ان نور الدين بوجدرة لم يقتصر في كتابه « الحريق » على إيراد هذه القصة وما ضمنها من آراء فحسب بل قدم لنا بعض آراء الصحافة العالمية في قضية الجزائر ، ومقالا سلمه اليه الدكتور « اتيان بورنية » . Etienne Burnet ، وبعض ما ترجمه من كتاب « الجزائر الخارجة عن القانون » لكولات وفرانسيس جانسون، وقصيدين للكاتب نفسه قدمهما في نصهما باللغة الفرنسية وفي ترجمتها الى العربية.

وأضاف الى هذا كله بعض ما ترجمه من كتاب « الاستنطاق » للصحافي الفرنسي « هنري علاق » La question d'Henri Alleg

وفي الجملة فإن كتاب « الحريق » جدير بأن يتصفح ويطالع لتنوع فصوله.

ونحن إذ نقتني هذا الكتاب نكون قد برهنا مرة اخرى عن تاييدنا لاخواننا الجزائريين في كفاحهم المستميت من اجل عزة وطنهم بكل ما لديهم من وسائل؛ ونكون قد شجعنا خاصة النتاج الادبي الجزائري .

الى قرائنا الكرام

ضاق هذا العدد عن ابواب الفكر القارة : ندوة القراء بريد القراء ـ اصداء الفكر ... نظرا لكثرة المواد المتعلقة بالقصة فالى العدد المقبل .

قصة من الواقع

رثاء طالبة

بقلم البشير المجدوب

هي حادثة انتحار فتاة في غمرة اليأس ألقت بنفسها امام القطار الزاحف . انها هي الا ضحية عهد يحتدم فيه الصراع بين القديم والجديد

اسمها سارة

يا لسخرية الاسماء السارة

باقة آمال كانت ... جذوة حارة

أي سر في روحها الغض ؟... أي قوة هائلة ؟؟

قوة الفكر الجموح .. عصفت بها ضارية

يا لها من أوهام شديدة ووساوس قارة

ما ان تريم ... ابدا تنخر نفسها الحائرة ... نفسها الثائرة

نفسها المسكينة انقصفت نغمة ذاوية ...

الحادث المشؤوم ... كيف ينساه اخوتك .. يا سارة ؟؟

مقعدك الفارغ بالقسم .. كيف نسيغ الدرس والقاعة خالية ... منك خالية ...

نحن قتلناك ... بالكتب قتلناك ... بالعلم المقدس ... سما زؤام !.

تبا له من طعام ... لا يشفي السقام

واقعك الاظلم

فكرك الاغلب ... عرفا شر خصام

روح تضام ... ما ان تنام

كفرت بالحياة السنية ايما كفر

وامحى في نفسها معنى الوجود الفخم .. اعظم به من سخر

الآلة الفظيعة لم ترعك ٠٠ الآلة الوحشية الضارية
نحوك سائرة ٠٠ سائرة ٠٠ جارية ٠٠ آه
لم ترعك انفاسها الداوية ! العاوية ! الدانية !
لم ترعك الهاوية
انى لك البطش بنفسك الوادعة ؟!
لكانك تنظرين غداة الدرس من وراء الفانية
والدرس زهد ابي العتاهية
ونفسك تعانق ابا العتاهية
و كأنك فارقتنا بعد قلبا وقالبا
نظرتك الساهية البعيدة الفاترة
وجهك الشاحب رمز نفسك العارية ٠٠ الهائمة
فغدا تنسى ٠٠٠ ويعرض عن ذكرك
وروحك باقية
ابدا باقية
بيننا باقية

كتب وردت الى المجلة

◆ مشكلة الغذاء العالمية
نشر اليونسكو

◆ جبابر اكاش ناريان
(من السياسة الى الحرية)
بقلم الدكتور امين الحافظ

◆ دراسات حول مفاهيم الحرية
شارك فيها بشارة الغريب - ميخاييل نعيمة - كريم عزقول - نقولا زيادة - كمال جنبلاط وغيرهم ....

◆ الزاوية الخالية
للشاعرة العراقية لمعة عباس عماره

فالى المؤلفين والسادة الادباء خالص تشكراتنا .

الفهرست

العـدد السابع ـ أفريل ١٩٥٩ ـ السنة الرابعة

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول

محمد مزالي

الادارة : ١٣ نهج دار الجـلد ـ تونس

تليفون : ٧٧٨ ٢٦٠

الحساب الجارى : ٧٦٩ ٣٣ تونس

العنوان : صندوق البريد ٥٥٦ تونس

• تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى اوت وسبتمبر

• قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى فى تونس دينار و ٢٠٠م

اشتراك الانصار ٣ دنانير

فى المغرب وليبيا دينار ونصف

• الاشتراكات يرسـل معـلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجـارى

• المراسلات تكون جميعا باسم : مدير مجلة الفكر صندوق البريد عـدد ٥٥٦ تونس

• الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر.

EL FIKR — Revue culturelle mensuelle - 4e année N° 7 - Avril 1959

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم ـ ٢٠ نهج المالطيين ـ تونس